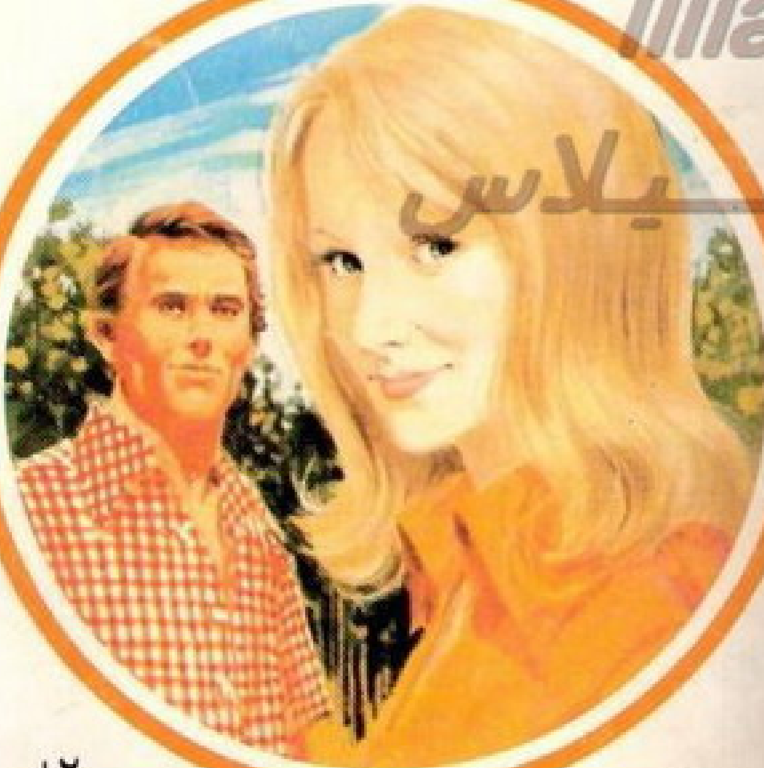
روايات عبير



آن هامبسون

الحمقاء الصغيرة



روايات عبير

HARLEQUIN – "ABIR" – No. 82

الحمقاء الصغيرة

تحت شمس افريقيا الحارقة كانت كيم تعيش في كنف مخدومها بارت ناش، الكاتب الذي انقذها بعدما هامت على وجهها اثر وفاة اهلها وخطيبها في حادث. كيم نذرت شبابها لهذا الرجل الطيب وهو اعتبرها ابنة له، لكن حان الوقت لتقاعده، وقلبه بحاجة الى عملية جراحية ولا يريدها ان تعرف بها، لذلك وجد بارت ان زواجها من روك صديقه العازب المكرس مناسب للغاية..

وتكتشف كيم ان الحب لم يكن اساس زواجها فكادت ان تنجح في الهرب منه، لكن حقيقة اخرى لم تكن تعرفها كيم جعلتها تتصرف كحمقاء صغيرة، فقد كان روك يحبها بصرف النظر عن كل الظروف...

لبنان	٨ ل.ل.	الكويت	٧٥٠ ف	اليمن	٩ ر	السودان	٨٠٠م
سورية	٨ ل.س	الامارات	١٠ د	تونس	١ د	U.K.	£ 1
الأردن	٦٠٠ ف	البحرين	١ د	ليبيا	٧٠٠ د	France	F 10
العراق	٥٠٠ ف	قطر	١٠ ر	المغرب	٨ د	Greece	Drs 150
السعودية	٩ ر	عمان	١ ر	مصر	٨٠٠م	Cyprus	P 1

العنوان الاصلي لهذه الرواية بالانكليزية

SWEET IS THE WEB

المراسلات:
Harlequin (Cyprus) Ltd.
29 Michalakopoulou St.
Athens T.T. 612, Greece

Printed in Great Britain by
Richard Clay (The Chaucer Press) Ltd, Bungay, Suffolk

١ - ذكريات ولقاء

عبق الهواء بأريج ساحر فيما اسرعت كيم وهي فوق حصانها الرمادي الجميل سامي، الذي اهداها اياه رب عملها، عبر الممر الترابي المؤدي الى مسكن كاتانيا. وتمايل شعرها الأشقر الطويل فوق كتفيها وهو يلتمع تحت اشعة الشمس الافريقية. الا ان الجزء الأمامي شكل ذؤابات صغيرة رطبة التصقت بجبهتها البيضاء الصافية. واسودت عيناها الزرقاوان العميقتان الواسعتان المكسوتان بأهداب طويلة عندما لمحت الحصان الضخم مربوطاً الى شجرة عند الرواق الخلفي.

ادركت ان بروك لتون وهو المالك الوحيد للأحراج المجاورة، الذي يوظف عشرات العمال الافارقة فيها ويصمم على البقاء عازباً لأن رأيه في النساء يدفع أي انثى ان تمقت عينيه الرماديتين القاسيتين، يزور رب عمل كيم وهو مؤلف شهير لكتب الطبيعة والأسفار.

ترجلت كيم عن الحصان وهي تفكر كيف بدأت العمل مع بارتلت ناش في الأساس. كانت هائمة على وجهها في مروج دربي شاير والدموع تنهمر على وجنتيها البيضاوين وهي تتمنى لو انها ماتت مع والديها وخطيبها في حادث اصطدام سيارتهم بشاحنة مسرعة. ورأت كيم بارت ـ كما يدعوه اصدقاؤه ـ يدب على يديه ورجليه، فسقطت عليه لأنها لم تتوقع ان تلتقي احداً في تلك المروج المنعزلة، لاسيما شخصاً يتصرف على هذا النحو. واعتذر بارت بسرعة فيما تنهض ليوقفها. وفي الحال ابصرت عيناه البنيتان الحادتان وفي أقل من عشر دقائق سمع قصتها بأكملها. فقد وجدت آخر الأمر شخصاً تتحدث اليه. كلمته وهي تحاول تخفيف الألم الضاغط بثقل

على قلبها وفكرها. فقال بارت مشفقاً:
«هل انت وحيدة في العالم الآن يا ابنتي؟».
اجابت والغصة في حلقها تكاد تخنقها بعد ان سالت دموعها مجدداً:
«أجل. ليس لي أحد على الاطلاق. وعليّ ان. . . ان اترك البيت الذي اعيش فيه لأن صاحبه يريد بيعه».
وعلى الفور تحول بارتلت ناش الى رجل اعمال نشيط. فوضع العدسة المكبرة التي كان يستعملها لمراقبة تحركات خنفساء بين الأعشاب الكثيفة القاسية، فيما التقط الجراب باحدى يديه ليمسك بالأخرى كوع كيم. ولم تدرك كيم الا بعد وقت طويل وعندما تمكنت من تقييم الوضع بتجرد، ان القدر تحكم بحياتها كلياً، فنقلها من ليل الاحزان المظلم الى انوار الفجر ثم وضح النهار.
وهنا قطعت كيم تأملاتها لتتحدث الى الحصان الذي احبت ركوبه:
«سامي. انت حر الى مثل هذا الوقت في الغد».
صهل الحصان عند الجانب الآخر من السياج قبل ان ينطلق نحو الاصطبل. واستأنفت كيم تأملاتها وهي تتجه الى البيت. ادخلها بارت سيارته التي وصلاها بعد ان سارا خمس عشرة دقيقة. وأخذها الى منزله حيث اجبرها ان تتناول بعضاً من السمك المطهي بالبخار، الذي اشترته مدبرة منزله لتقديمه على العشاء. ثم طلب من مدبرة المنزل ان تهيء السرير الاضافي وأصرّ على ان تبيت كيم ليلتها في منزله.
وما حدث بعد ذلك رمى الى ان ينسي كيم حزنها بعض الشيء على الأقل. فقد تركت سكرتيرة بارت عملها منذ شهر، ولم يستطع العثور على بديل مناسب. فعرض الوظيفة على كيم، التي عملت من قبل طابعة على الآلة الكاتبة في ادارة متجر كبير للأدوات المنزلية. وقد تركت عملها لأربعة عشر يوماً. وبينما صعدت درجات الشرفة تذكرت انه سرعان ما ضاق مديرها بها ذرعاً. ثم نصحها بأن تلزم بيتها الى ان تستطيع استئناف العمل. لكنها لم ترجع اليه اذ قبلت عوض ذلك المنصب الذي عرضه عليها بارت قائلاً:
«لديّ كثير من العمل لأن سكرتيرتي غائبة منذ وقت طويل. وليس العمل سوى طباعة ملاحظاتي المدونة. وهذا لا يتطلب تركيزاً شديداً.

اطبعي هذا يا كيم من دون ان تكترثي للأخطاء. فهذه ليست النسخة النهائية للكتاب».
وما لبثت كيم ان اقامت في منزله الأنيق كما قامت على خدمتها مدبرة المنزل التي تشبه رب عملها تفهماً ولطفاً. واهتم بارت ببيع اثاث كيم. كما نقل الى بيته بعض القطع التي ارادت الاحتفاظ بها. وسهّل بارت الحياة على كيم بكل طريقة ممكنة، مما جعلها تقسم الا تترك العمل عنده الا حين يجد انه لم يعد بحاجة اليها. وربما كان ذلك عند تقاعده. وخلال السنوات الثماني الماضية قطعت كيم آلاف الأميال مع بارت. وكان عليها الآن، وهي في السادسة والعشرين من عمرها، ان تقضي سنة او يزيد في افريقيا حيث تساعده في ابحاثه وطباعة ملاحظاته وتقوم قليلاً على خدمته لأنه لم يصطحب مدبرة منزله التي يمكنها التكيف مع اهوائه الغريبة نوعاً ما. وبعد انتهاء العمل الميداني وطباعة الملاحظات عليها هي وبارت ان يرحلا الى امريكا الجنوبية حيث سيعكف على وضع كتاب في السفر والسياحة.
وانقطعت كيم عن التفكير لتقف وتتطلع حولها. لقد امطرت خلال الليل، فامتلأت الأرض برائحة الرطوبة وبدا كل شيء اخضر ينبض بالحياة برغم ان زهور المرج الناعمة في الحديقة تضررت لسوء الحظ. وسمعت دبيب الحشرات في نباتات الخبازى وتغريد عصفور شجي يطير بسهولة من شجرة سنديان قصيرة ليستظل شجرة حور باسقة.
وبعد لحظات استدارت ودخلت غرفة الجلوس حيث ابتسم لها روك ابتسامة ساخرة مألوفة وهو يرمقها بنظرته الجامدة فيما بدا ان بصره نفذ الى ما وراء قميصها القطني المخطط وسروالها الجينز. وقال بلا مبالاة:
«كيف حال الآنسة مايسون؟ هل استمتعت بتمرين الركوب؟».
فرفعت كتفيها ببعض الكبرياء في ايماءة اعتاد روك عليها. وقالت بلهجة تثير الغضب:
«كثيراً يا سيد لنتون. أرى انك قصدت الينا وأنت تركب الحصان. ولا شك انك ستبتل في طريق عودتك».
ضاقت حدقتا روك. وقبل ان يتفوه بجوابه الحاد، تكلم بارت وقد قطب جبينه:
«كم اتمنى لو تكونوا اكثر مودة تجاه بعضكما. الآنسة مايسون؟ السيد

لنتون؟ اسمان يبدوان ثقيلين على السمع».

وازداد عبوساً فيما وبّخهما بقسوة وتفحصت عيناه البنيتان وجهيهما مداورة:

«انكما تعرفان بعضكما منذ اكثر من ثلاثة اشهر. فما بالكما تخاطبان بعضكما بهذه الطريقة التي توحي الى من يسمعكما انكما خصمان متباغضان . . . ».

فاعترضت كيم قائلة:

«أنا لا احتدّ في وجه احد يا بارت».

ثم رمقت روك بنظرة قبل ان تحدق الى السماء حيث تجمعت سحب المطر منذرة بهبوب العاصفة. وعلى رغم انها كانت بعيدة في الأفق، فقد حجبت الشمس. ورد بسرعة وقسوة:

«أنت لا تحتدين كثيراً».

فعلّق بارت متجاهلا اعتراض كيم:

«انها لا تحتد في وجه احد سواك».

والتفت روك اليها مداعباً وساخراً من حمرة الخجل على وجهها والتماع الغضب في عينيها. فقالت:

«قلت انني لا احتد. وأعني بذلك اني لا احتد في وجه السيد لنتون».

«حسناً. والآن لا اظن ان باستطاعتك ان تنكري ذلك . . . ».

وتنبه بارت من شروده اذ كان يفكر بمشكلة تتعلق بعمله. وأضاف وهو يتنهد بعصبية:

«ان كلا منكما يحتد في وجه الآخر كما قلت. والآن لماذا لا تتصافحان وتحاولان نسيان السبب؟ قولا لي ما هو السبب وراء ذلك كله؟».

طلب ذلك فيما بدا مستغرباً انه لم يطرح هذا السؤال من قبل.

ونظرا الى بعضهما ثم اخذ كلا منهما يتذكر مشهد لقائهما الأول. كانت كيم تتجول على طول ضفة الجدول الصغير الذي يخترق مزارع روك. وبناء على ما تذكرت كيم من حرية عشاق الطبيعة المطلقة في التجول في مروج دربيشاير، لم يخطر لها انها تتعدى على حرمة ممتلكات احد. وطردت اي فكرة بهذا المعنى فوراً. فهي لا تؤذي احداً بسيرها على جانب الجدول الرائع المتعرّج ذي الضفتين الفرحتين بأزهارهما البيضاء التي قد تصبح محط

اهتمام بارت عما قريب. فهو قد يكتب عنها ضمن باب الازهار في كتابه الجديد. ثم سمعت صوت رجل عميق يناديها:

«مرحباً. من أنت؟ وماذا تفعلين في ارضي؟».

اوقفت نبرته الشعر في جسمها. فهو رجل متعجرف ومغرور. لذا استدارت كيم وأجابته بتحدٍ:

«لا يفترض فيّ ان اعرف أرض من هذه. وبما اني لا ازمع ايذاء شيء، لا ارى ان معرفتي قد تعني شيئاً في أي حال. ولست انوي الا ان اسير على طول ضفة الجدول».

اعقبت ذلك فترة صمت مثيرة حدقت خلالها كيم الى الرجل، الذي لم ترهبها قسماته. وألقت نظرة متفحصة على شعره المتجعد الضارب الى السواد والمتجعد، والى جبهته العالية وجفونه السوداء وأنفه المستقيم وفمه الغليظ والمغري. وكان جسمه رشيقاً قوياً مثل اجسام الرياضيين يرتفع ستة اقدام. وقدرت انه يقارب الثلاثين برغم ان سنه بدت أكبر من ذلك لأن جلده قد اكتسب لوناً برونزياً لامعاً نتيجة حياة القفار والعمل تحت اشعة شمس افريقيا اللاذعة مما شكل تغضنات عند اطراف عينيه. وكثيراً ما كان عليه ان يضيّق حدقتيه، الأمر الذي جعلها تقرر ساعتئذ ان تزيد من استعمالها لنظارتيها الشمسيتين. ثم رفعت رأسها ثانية لتنظر الى عينيه الحادتين اللتين كانتا تتقدان شرراً. ومع عبوسه وجدت نفسها تعترف مكرهة بوسامته. ثم سألها برقة ولطف:

«من أنت؟».

وبالرغم منها، وجدت كيم نفسها تقر بهزيمة جزئية:

«أنا اعيش في مسكن كاتانيا، وأعمل عند الكاتب الذي يقيم هناك بعض الوقت».

وغمغم بينه وبين نفسه:

«أظن انه استأجره من أسرة جويتسون».

فتكوّن لدى كيم انطباع بأنه كان يتمنى لو ان جيرانه لم يذهبوا الى انكلترا لسنة، ويؤجروا منزلهم لرجل سيجوب المكان زحفاً على بطنه وهو يحمل عدسة مكبرة ليفحص تحركات الحشرات وأجزاء الأزهار. وتهيأ لكيم ان ذلك الرجل يعتبر هذا النوع من العمل تافهاً وذلك قبل ان تعلم ان

عمله يتعلق بالأشياء الضخمة لاسيا الأشجار العملاقة التي يربيها بقصد بيعها. ومضى ليقول بعد ان انتهى من تفكيره:

«حسناً يا آنستي. لا أود ان أراك ثانية في مملكتي».

ثم ضاقت عيناه الرماديتان وفمه المغري:

«واذا حدث ان وجدتك تتخطين حدود ارضي، فسأضطر ان احدث رب عملك بذلك. وعليه انصحك بأن تحترسي في سيرك».

وابتسم وهو يشير لها بفضول ارتسم معه الغضب في وجنتيها.

غضبت كيم علماً منها بأنها على خطأ وانه على صواب. واستدارت بسرعة لشدة غضبها، فزلت قدمها وسقطت على وجهها في الجدول. اما الرجل، فقهقه وهو يقف واضعاً يديه على وركيه من دون ان يحاول مساعدتها على الوقوف. فصاحت:

«ايها...».

ومنعها غيظها من نطق بقية الجملة، فيما اخذت تزيل الوحل عن ثوبها بيديها. وأشار لها بيده:

«من سوء الحظ انك لم تسقطي في المجرى الأكثر عمقاً... هناك. عندئذ فقط كنت ستعرفين معنى تغطيس المجرمين عقاباً. وقد اعتاد مواطنوك في ما مضى ان يغطسوا النساء. وانها لخسارة ان يلغى هذا النوع من العقاب الذي كان سيثبت فاعليته مع مثيلاتك من النساء اللواتي لا يعرفن حدودهن».

وقبل ان تجد كيم ما تجيبه به، أدار ظهره لها واندفع مبتعداً بسرعة مذهلة.

تنحنح بارت بعصبية، فقطع على كيم احلام يقظتها. وجلس روك في كرسيه ينظر اليها بسخرية فيما اجاب عن سؤال بارت بنبرة تنم عن شيء من الحقد:

«لا يمكن القول بأن بداية معركتنا كانت سعيدة يا بارت، لأن الآنسة مايسون اظهرت تجاهي بعض الوقاحة، وكان قصاصها العادل ان سقطت في الجدول. وأقر بأن عملية تغطيسها كانت نافعة اذ لم تحاول ان تدخل ارضي ثانية على حد علمي».

ثم ادارت كيم رأسها لتتذكر شيئاً تنصتت اليه في نادي الكاميليون،

الذي انضمت اليه هي وبارت بعد وصولها الى جنوب افريقيا. كانت كيم في الحديقة تتنشق الهواء تحت جنح الظلام. وفجأة وجدت نفسها تصغي الى جزء من محادثة جرت بين صبيتين غالباً ما ترددان على النادي.

«ان وقاحة روك لتكون لمذهلة. لقد كدت اصفعه عندما قال بلهجته الساخرة ان على النساء التزام حدودهن، وهو يعني بذلك البيت».

اجابت الفتاة الثانية:

«انه بالطبع يعني المطبخ. وانه لمن دواعي الأسف ان يفكر بهذه الطريقة. ولكن، عليك ان تعترفي انه غاية في الأناقة، وانه حاذق في ترتيب هندامه. انه الزوج النموذجي...».

«آه. اما انا، فلا اريد ان استعبده».

«ولكنك يا سوزان عشقته لسنوات عديدة».

«كفاك كذباً يا ليندا».

«حسناً. انا لا اكترث بما تقولين. فهو سيكون زوجاً رائعاً لو كان اقل غروراً وسخرية في ما يتعلق بالنساء».

«انه عازب مكرّس يصمم على عدم الزواج. وقد قال لي ذات مرة ان المرأة التي ستجبره على تسليم حريته بالحيلة او بالاغراء لم تخلق بعد».

قهقهت الفتاة الأخرى:

«بالحيلة او بالاغراء؟ من المؤكد ان هذا القول ينسجم مع طبيعة روك. كم اتمنى ان ارى اليوم الذي يتراجع فيه عن هذه الكلمات».

منذ تلك الليلة بدأت كيم تعرف روك عن كثب اذ نشأت صداقة بينه وبين بارت خلافاً لما توقعت. وغالباً ما كررت التعبير عن تلك الرغبة لأن وقوع روك في هوى امرأة ما سيبعث فيها رضى لا يوصف. كم ستغيره. وهو لن يستطيع ان يرد عليها بجواب لاذع من اجوبته المعروفة. بل سيقبل كل ما ستقوله. ورمقته بنظرة من مجلسها على الأريكة المغطاة بقماش قطني مطبّع. فوجدته يستوي على مقعده بارتياح وهو يمد رجليه الى الأمام. ولاحظت عيناها الحادتان فيه كبرياء وغروراً اثارا حفيظتها. وبدا، وهو يعتد بحصن عزوبيته، في غاية الرضى عن نفسه نتيجة التباهي بمناعته.

اجل، لقد تمنت بحق ان ترى دفاعاته تنهار امام امرأة يقع في هواها.

اما هو، فرماها بنظرة ثانية ساخرة فيما تنفست بصعوبة وهي تحول

انتباهها الى بارت، الذي غرق في الصمت وهو يفكر في ما قاله روك عن بداية معرفته المشؤومة بكيم وفجأة عبس بارت فيما احدث طقطقة عالية بلسانه. ثم همس:

«هذا تحز. اجل، انه تحزٍ. . .».

«ان نكون أعداء يا بارت، أليس كذلك؟».

لم تقدر كيم ان تمنع نفسها من التفوه بهذا الكلام وقد رغبت ان ترى اثره على هذا الرجل المتحجرف الذي يتجنب النساء. فقال روك مبتسماً ابتسامة خفيفة:

«ان تعبيرك قاس يا آنسة مايسون. اظن ان عبارة «اخصام» هي اكثر ملاءمة للوضع».

لقد سخر منها بمكر وعلى نحو يثير الغضب، فوجدت نفسها تكظم غيظها وهي تجيب رغم ذلك بحدة:

«لا فرق يا سيد لنتون».

أجاب وهو يطرق مفكراً:

«فرق ضئيل. فلا تعني كلمتا اعداء وأخصام المعنى نفسه».

تراجعت كيم امام هذا التعريف الواضح لتجد رضى وفرحاً كبيرين في السماء المتلبدة بالغيوم اذ اكفهر وجه الطبيعة وخيّم عليها ظلام العاصفة.

ثم تنبأت وهي ترمقها بنظرة من تحت اهدابها الطويلة:

«ستهب علينا عاصفة عما قريب».

«هل تتمنين عليّ المغادرة؟».

هنا قطع بارت تفكيره ليقول:

«روك، ما هذا الذي تقوله؟ لا يمكن لكيم ألا تكون مضيافة وكريمة».

عقد روك حاجبيه قليلاً فيما ضاقت حدقتاه:

«لا. يبدو انك لا تعرف مساعدتك جيداً يا بارت على رغم بقائها معك اكثر من ثماني سنوات».

وبينما لاحظت كيم التغيّر المفاجىء في قسماته، كان بامكانها ان تقسم انه اضاف في سره:

«ثماني سنوات يا الهي كيف امكنك ان تطيق كيم طوال هذه المدة؟».

ثم غادر بعد بضع دقائق وراقبت كيم تلبد الغيوم الممطرة، وصلّت

بحرارة ان تبتل جميع مسام جلد روك لنتون الذي لا يطاق.

لم تلتق كيم روك الا مساء السبت التالي في حفلة النادي الراقصة. دخلت كيم وقد ارتدت عباءة ثمينة ذات ثنيات دقيقة صنعت من قماش التول الحريري الدقيق، وصبغت بلون ازرق فاتح يتحول تدريجيا الى لون داكن عند طرفها السفلي العريض. ووجدت نفسها تحملق في وجه الرجل الذي اصبحت تكرهه اكثر من أي شخص عرفته. فوجدته اسمر ساحراً. وأقرت مرغمة بجماله الرائع اذ تآلفت سمرته الضاربة الى الصفرة مع لون ياقة قميصه البيضاء بياض الثلج. كما سطع بياض قفازيه ازاء سمرة يديه الحادة. وتلألأ شعره الأسود بينما خيّل اليها انه ارتدى ملابس السهرة تلك للمرة الاولى. ثم حيّاها بتجرّد وبرودة مألوفين ورمقها بنظرة ثاقبة وهو يرفع يده ليخفي تثاؤ به:

«مساء الخير يا آنسة مايسون. هل حضر بارت معك؟».

«طبعاً. فأنا نادراً ما احضر الى هنا بمفردي يا سيد لنتون».

خلعت كيم عباءتها على الفور وألقتها على ذراعها بينما تأمل روك حركتها بشيء من الاهمال وهو يقول:

«لا أرى سبباً لعدم حضورك الى هنا بمفردك. فأنت تعرفين عدداً كبيراً من الشبان الذين يدعونك لمراقصتهم طبعاً. واذا لم اكن مخطئاً فان خال هدسون ينتظر انتهاء حديثي معك حتى ينقض ويخطفك».

ثم اضاف بسخرية واضحة:

«ولكن، يا له من أحمق».

فصرفت اسنانها وهي تحملق فيه بحنق وتقول:

«هل ترى ضرورة لوقاحتك الشديدة؟ ما هي هذه السعادة التي تغمرك حين تتصرف بطريقة كريهة تثير الاشمئزاز؟».

ولشد ما اشمأزت حين قهقه وهو يجيبها بهزء:

«كم أرغب ان أرى المرأة تظهر ضعفها».

فعبست في وجهه الأسمر وهي تستفسر عن معنى قوله. فكشف لها انها اظهرت عن ضعفها حين غضبت. الا انها قاطعته:

«لست غاضبة على الاطلاق».

«اذن، ارجو الله ألا أراك غاضبة يا آنسة مايسون».

تنفست كيم الصعداء وهي تنتبه لمن يحيط بها من الناس الذين قد يستمتعون برؤيتها تجذب انتباههم اليها وهي ترفع صوتها. الا ان روك قرأ افكارها بسرعة بديهته وضحك ضحكاً خفيفاً مرة اخرى. فالتفتت اليه وهي ترتجف بكبرياء:

«لن ابقى هنا أهان».

رفع روك حاجبيه ممازحاً وهو يقول:

«لا شك ان بامكانك الرد عليّ. فأنا لا اتصورك تتراجعين من دون ان تكون لك الكلمة الفصل».

فعبست مستغربة اذا كان يمازحها. ولو كان ذلك صحيحاً، فما الدافع اليه؟ لا ريب ان هناك سبباً فهو لا يتصرف من دون منطق. وقالت بعد تردد:

«اذا كنت تريدني ان ارد عليك حقاً، فاسمع جوابي. انك لا تطاق. فأنت تتحامل بعصبية على بنات جنسي، وتعلق اهمية زائدة على بني جنسك. ألم يخطر ببالك يوماً انك لم تكن لتقف هنا لولم تحبل بك امرأة؟»

ولكنه لفرط اشمئزازها تقبل كلماتها بهدوء وعدم اكتراث وشعور بالتفوق أثار حفيظتها اكثر من السابق. وقال:

«انك تستعملين نعوتاً قاسية يا آنسة مايسون. وقد لاحظت ذلك من قبل. وكم ارجو مخلصاً ان لا يخدع بارت ويترك لك حرية التصرف في مخطوطاته».

فشحب لون كيم لشدة غضبها. الا انها بقوة ارادتها وانضباطها حافظت على كبريائها وهي ترمقه بنظرة استخفاف من دون ان تنبس ببنت شفة. ثم استدارت متجهة الى القاعة المجاورة لدورة المياه المخصصة للسيدات حيث تركت عباءتها قبل ان تخرج للقاء فال. وكان اهتمام فال بها واعجابه الظاهر بمثابة البلسم لأعصابها المشدودة وخاطرها المكسور. فاستعادت توازنها ومرحها. وسرعان ما نسيت روك لنتون، وركزت اهتمامها على فال، الذي تعرفت عليه بعد وصولها بمدة قصيرة والذي شابه خطيبها على نحو لافت اذ حاكاه في الطول والهيئة وزرقة العينين المرحة وشقرة الشعر واتساع الفم المبتسم. وبعد ان التقت كيم، فال بضع مرات، وجدت نفسها مشدودة اليه. فسألت نفسها السؤال المحتوم: هل تكمن جاذبية فال فقط

في انه يشبه خطيبها؟ لقد امكنها ان تطرح هذا السؤال بتجرد لأنها تخلصت من الآلام والعذاب منذ فترة طويلة.

بيد انها عجزت عن الاجابة على سؤالها. وفجأة لم يعد يهمها الأمر وذلك لانسجامها مع فال، الذي جمعتها به امور كثيرة جعلتهما يتبادلان الأحاديث المفيدة والمسلية. ففال يعمل في مزرعة والديه مع انه اعرب لكيم عن رغبته في تعاطي عمل فكري. وظن ان باستطاعته تأليف كتاب. وذات مرة دعاه بارت الى مسكن كاتانيا. الا ان كيم لم تعرف ما دار بينهما لأنها شغلت نفسها بأمور الحديقة.

قطع صوت فال تأملات كيم:

«كم تبدين رائعة الليلة».

فابتسمت له:

«اشكرك يا فال».

ثم تقدمها الى البار حيث انضم اليهما بارت وأصرّ على شراء كوبي شراب لهما. وبعد قليل رقصت كيم مع فال. ثم جلسا على طاولة صغيرة في زاوية يتناولان عشاءهما الخفيف. ولاحظت كيم ان روك تصرف بلياقة مطلقة اذ راقص السيدات المتقدمات في السن والفتيات على حد سواء. وفيما اعربت عن امتنانها لعدم ابدائه رغبة في مراقصتها، رأته يتجه نحوها بخطوات رشيقة وطلب اليها ان ترقص معه.

وتعليقاً على قوله انها صامتة، اجابت بأن ليس لديها ما تقوله. فهمس بصوته الهادىء العميق:

«غريب. اما زلت غاضبة؟»

تجاهلت كيم ملاحظته. وشغلت نفسها باتباع خطواته المعقدة احياناً. وتكون لديها انطباع بأنه يسعى الى ارباكها، فتظهر بمظهر الحمقاء. ولم ترد حدوث مثل هذا الأمر خصوصاً ان كثيرين قالوا لها انها ترقص جيداً. لذا كان من الطبيعي ان تثق بقدرتها على ان لا تخطىء في أي خطوة. واخيراً توقفت الموسيقى. الا ان الجميع ظلوا في حلبة الرقص ينتظرون تجدد العزف. ووجه روك اليها نظرة فاحصة، فرأى الرضى في عينيها الزرقاوين الكبيرتين. فاضاءت عيناه مرحاً. وقال مبتسماً:

«أؤكد لك يا آنسة مايسون اني لم احاول ارباكك ابداً. لكن بارت

اخبرني عن مهارتك في الرقص. فسمحتُ لنفسي باتباع خطوات غير مألوفة. والحقيقة اني اعجبت برقصنا كثيراً».

رفعت كيم رأسها لدى سماعها الجملة الاخيرة. وحلّت الدهشة محل الكبرياء البارد والرضى الذي دفع روك الى التعليق. ثم قالت بحدة:

«ولا يتوقع احد منك ان تجامله. ولذا اجد نفسي عاجزة عن الرد عليك على نحو ملائم».

فضحك حالاً، مما جعل سوزان الواقفة مع شريكها الشاب الوسيم روجر فان دي فالت تدير رأسها الأسمر وتحدق اليه. فتذكرت كيم قول صديقة سوزان انها طاردت روك بضع سنوات. والمؤكد ان تعبيراً غريباً ارتسم على محياها لأنها كانت تتأمل في سرها. وقال روك غير آبه بكل مظاهر اهتمام سوزان به:

«ما اقساك يا آنسة مايسون. في اي حال، لم يكن جوابك ضرورياً اذ لا سبب للرد في حال الاطراء».

قالت:

«أود ان اسألك اذا لم تجد اطراءك لرقصي مغايراً لطبيعتك».

«واعتقد اني لم امتنع عن مجاملة من يستحق الاطراء».

اجابت بسخرية ملأته فتوراً:

«رائع».

«وطبعاً، لأني لو اردت ارباكك لأمكنني ذلك بسهولة».

«عن طريق الغش فقط».

لم يجبها، بينما اتجه بها الى الشرفة. ولشد ما دهشت عندما وجدت نفسها خارجاً وقد لفحت وجهها الحار نسمة من نسمات هواء الليل الباردة. ثم قال وهو يدفع كرسياً ويشير لها باصبعه اليه:

«ان الهواء فاسد في الداخل».

جلست كيم وقد اخذتها الحيرة من تصرفه فيما احتل هو المقعد المقابل. وبفضل الاضواء الخفيفة لاحظت انه غارق في التفكير. فتساءلت: هل فكر بالأشجار وبالمال الذي سيجنيه من بيعها؟ ماذا يفعل بالمال؟ لم يكن هناك سوى اشياء قليلة ينفق ماله عليها خصوصاً ان منزله رائع على الأقل من حيث منظره الخارجي. فكيم لم تدخله مع ان بارت زاره وقال بأنه غاية

في الفخامة والأناقة. وقد بني على نمط بيوت الرواد المنطبعة بالطابع الهولندي، الذي لاحظته كيم في مناطق اخرى، بينما استقلت هي وبارت السيارة من المطار عبر اميال طويلة من الغابات المكتظة بالأشجار الخفيضة والشائكة حيث انتشرت بيوت المزارعين التي تفصلها مساحات كبيرة من الأراضي المزروعة. اما ألوان الحدائق وتصاميمها ونموها فكانت مظاهر مثيرة للاعجاب. وامتدت احراج روك على ثلاث جوانب وقد فصلتها المراعي عن الطريق العام. وخصصت سفح احدى التلال كمرعى لقطيع أغنام المارينوس الاسبانية الأصل المكسوّة بصوف ابيض نفيس في حين احتلت الابقار المروج الممتدة على جانبي الساقية.

وادارت كيم رأسها لتنظر الى الرجل الذي حامت افكارها حول بيته. في تلك اللحظة نهض روك ليتطلع الى شيء تحرك في الحديقة. وكشف قوامه الرائع الصلب عن ثبات خطوه. فما كان من كيم الا ان ابتسمت وهي تدرك اضطرارها للاعتراف بمزاياه النادرة. عندئذ ادار روك رأسه ليلقي نظرة استفهام على وجهها. وجلس ثانية على الكرسي وهو يمسّد رجل بنطاله قبل ان يضع رجلا فوق رجل. وقال:

«هل وجدت الآنسة مايسون شيئاً يسليها؟».

فتساءلت كيم ماذا عساه يقول لو اخبرته بالحقيقة. فالرجل مغرور الى حد يمنعها من قول شيء يزيده كبرياء. فأجابت وهي تحدق الى السماء الموشحة بالنجوم المتلألئة فوق المرج الموحش:

«فكرة عارضة خطرت لي».

ثم امتلأ انفها الحساس بأريج الشجيرات صريمة الجدي فيما صم اذنيها ازيز الصراصير في اشجار المانغا المحيطة بالنادي. فتنهدت تنهيدة رضى وتراجعت في مقعدها الى الوراء. وبدا غريباً ان تشعر بهدوء مثل هذا في حين جلس روك لتنون البغيض قبالتها. فهو آخر شخص تتمنى ان ترافقه. الا ان هدوء الليل وجماله وبرودة الهواء المنعش جعلت وجود الرجل عديم الأهمية.

وعادت افكارها الى فال، فاكتنفها دفء وفرح عارمان، ووجدت نفسها تنظر الى روك وتتمنى لو كان هو فال، فال الذي يشبه ريتشارد. . .

فجأة غابت سنوات التفاهة الطويلة وكأنها لم تكن. وانتابها الحزن والألم

من جديد. قرع الباب . . . ورجل الشرطة يسأل اذا كانت هي الآنسة كيم مايسون . . . قلبها ينعصر لدى رؤية الحزن مرتسماً على قسمات وجه رجل الشرطة . . . ومعرفتها انه يكره اختيار الدائرة له حتى يزور ذلك البيت . . .

وفي اللحظة عينها انتفض روك متكلماً:

«قولي لي بماذا تفكرين؟ فانت تبدين واجمة وشاحبة».

لم تستطع ان تنسجم معه لشدة برودته وثبات جنانه ورباطة جأشه. وانتفضت لتزيل تلك الصورة من مخيلتها. ثم قالت مبتسمة:

«لا تهتم. فليس هناك ما يستدعي اهتمامك».

كان بامكانها ان تتحدث بصراحة الى بارت. لكنها لم تتصور انها تتحدث بمثل هذه الطريقة الى روك.

«شيء مخيف للغاية يا سيد لنتون. لكنني على ما يرام الآن. فالذكريات تهاجم الانسان احياناً . . .».

ثم صمتت وهي تهز رأسها اذ يسهل عليها ان تجادل روك لا ان تثق به. غير انه علّق دون ان يدرك رغبتها في اقفال الموضوع:

«لا شك ان هذه الذكريات محزنة جداً. الا انك ما زلت شابة صغيرة يصعب ان تحتفظ بذكريات أليمة كذكرياتك».

«لست صغيرة كما تتصور يا سيد لنتون».

فسأل السؤال الذي توقعته:

«كم عمرك يا آنسة مايسون؟».

«ستة وعشرون عاماً».

اطرق مندهشاً:

«لم اتوقع ان يزيد عمرك عن ذلك».

«أنت لا تحسن المجاملة . . .».

توقفت كيم، ولكن متأخرة. فما الذي دفعها الى قول ما قالته؟ سر روك وبدا كأنه ينتظر اتمام قولها. لكنها صمتت وهي تحبس انفاسها. فقال بعد برهة:

«من السخافة ان اقول انك تبدين في الحادية والعشرين وأنا اعرف انك تعملين في خدمة بارت منذ ثماني سنوات».

اطرقت مرتبكة:

«طبعاً يا سيد لنتون».

فنظر اليها بتوتر. ثم نهضت عن كرسيها وهي تقول ان عليهما العودة الى الداخل.

وفجأة تكلم بصوت مرتعش وباقتضاب:

«انك على حق يا آنسة مايسون، يجب ان نعود الى الداخل».

٢ - مقابلة في تنغافيل

كانت كيم تتحدث الى سوزان التي اظهرت اهتماماً بالغاً بوظيفة رفيقتها. وقالت:

«كم ارغب ان اقوم بعملك لان اي شيء يتعلق بالطبيعة يفتنني».

اجابت كيم:

«اما انا فكنت محظوظة للغاية عندما قدّم بارت- اقصد السيد ناش- هذه الوظيفة لي».

«من المؤكد انك تكثرين الاسفار».

اطرقت كيم. وكانت تجلس مع سوزان على طاولة صغيرة عند حافة منبر الرقص تتفرجان على شاب وشابة يقدمان عرضاً راقصاً. وقد انفصلت كيم عن فال حين هجم الجميع على المقاعد، ووجدت نفسها مع سوزان حيث بدأت الفتاتان تتحدثان. ثم نظرت سوزان الى العارضين فقالت:

«رائع».

ثم بدأت تركز نظرها على شخص ثالث قبل ان تهمس لا شعورياً:

«ما رأيك في روك لنتون؟ فقد تسنى الآن ان تعرفيه عن كثب؟ اظن انه صديق السيد ناش».

اجابت كيم بانه صديق لرب عملها. لكنها اصبحت حذرة بعد ذلك. وقالت من دون اظهار اي انفعال:

«اني لا اعرف روك فعلا. فهو عندما يزور مسكن كاتانيا، يتحدث الى السيد ناش. وقلما ادخل انا المكتب او الحديقة حيث يجلسان».

اطرقت سوزان متأملة. ولما تطلعت كيم في الاتجاه الذي تنظر اليه

سوزان، رأت روك يتحدث الى بارت والسيد كيلر- رندال كيلر، الذي اشترى مؤخراً المزرعة على بعد كيلومتر تقريباً من مسكن فال. ثم اعاد صوت سوزان انتباه كيم الى جارتها:

«انه رجل غريب.. فهو عازب مكرّس. ومع ذلك....».

وصمتت سوزان لتقول كيم:

«يبدو انك لا تثقين بقراره الثابت بعدم الزواج».

لم يكن بامكان كيم ان تقول ما قالته بهذه الطريقة لو لم تدرك انها ترغب بسماع اي شيء ممتع تنوي سوزان ان تقوله عن روك.

«اليس من الطبيعي لاي رجل الاّ يتزوج، اليس كذلك؟».

«حسناً... لا... اظن ذلك».

«يبدو انه يقدّر حريته ويقدّمها على كل شيء عداها. ويتهيأ لي احياناً انه لو خيّر بين ان يخسر ممتلكاته او ان يخسر حريته، لفضّل ان يخسر الاولى».

هزت كيم رأسها:

«هذا ضرب من الجنون....».

ثم توقفت وقد ادركت سخف الحديث. فقالت سوزان عابسة:

«انا واثقة انه لو وقع في هوى امرأة ذات يوم لقاوم ذلك الحب بكل قوته».

وما كان من كيم الا ان ضحكت للجدية التي ظهرت على وجه سوزان:

«حسناً. يبدو انه لم يضطرّ للمقاومة والقتال بعد».

«كلا. ففي ايّ حال لم ترق له اي فتاة الى هذا الحد».

وهنا توقفت سوزان لتعطي كيم فرصة للتعليق. غير ان الاخيرة لم تنبس ببنت شفة اذ كانت تراقب باهتمام شديد العرض الراقص الذي اعجبها اشدّ الاعجاب. لكنها تحدثت بعد صمت طويل لعلمها ان آداب الحديث واللياقة تقتضي منها استئناف الكلام:

«من الممتع جداً ان يقع روك في هوى فتاة ما لانه سيتسنى لنا جميعاً عندئذ مراقبته وهو يقاوم».

واضافت وهي تتأمل:

«انني اتساءل عن شكل المقاومة ونوعيتها».

«من المؤكد انه سيعاملها على نحو شنيع مستعملا لسانه الحاد السليط

ومعرضاً اياها لشتى انواع الاهانات. ولا ريب ان سخريته ولامبالاته المزعجة ستظهران بوضوح».

«اذا تصرّف كما تقولين فعلا، فلن يكون جديراً بنيل تلك الفتاة».

«من المؤكد ان هذا سيكون هدفه الاول».

«اجل. . . ولكن، ماذا لو وقع في هواها؟».

حبست كيم انفاسها وهي تفكر:

«اظن انني قفزت بفكري كثيراً الى الامام ورأيته مغلوباً على امره يتوسل الى تلك الفتاة ان تتزوجه- هذا بالطبع بعد ان يكون قد خلق فيها كراهية له تحول بينها وبين الاقتران به في اي حال».

فسألت سوزان وهي ترفع حاجبيها:

«هل قلت» يتوسل؟ هل يمكنك تصوّر روك لنتون المغرور يتوسّل- لاسيّما الى فتاة؟ يا الهي، قد يرمي بنفسه عن الجبل قبل ان يفعل ذلك».

ظنت كيم ان ذلك مجرّد مبالغة. لكنّها في الوقت نفسه اعترفت انه من الصعب تصوّر روك يتوسل الى امرأة. وهمست سوزان:

«لا اتصوّر انه سيضطر الى الالحاح على امرأة حتى تتزوجه. فهولن يسمح لعاطفته ان تشده الى اي امرأة. ولا شك ان الضوء الاخضر سيظهر في اول علاقتها، وهولن يضيّع ثانية واحدة في التنبه اليه والتوقف عنده».

ثم صمتت سوزان بينما نظرت كيم اليها عبر الطاولة الصغيرة حيث كانتا تجلسان. وخمّنت وهي تضحك في سرّها ان سوزان كانت تتخيل وضعاً لا يمكن ان ينشأ. الا انها اصغت اليها باهتمام وتهذيب فيما اضافت فجأة بعد ان كانت تتحدث الى نفسها:

«في اي حال لن يضطر الى التوسّل. فاي امرأة، تتاح لها الفرصة، تفعل اي شيء لتصبح زوجته».

اجابت كيم على الفور:

«لن افعل كل ما في طاقتي لاصبح زوجته».

تفحصت سوزان كيم من قمة رأسها اللامع الى وسطها:

«لن تفعلي: انا شخصياً اعتقد انه جذّاب للغاية. لكن اوافقك انه ليس الرجل الذي يستحق ان يضحى من اجله بكل شيء».

اعلنت كيم وهي تعبر عن مشاعر سوزان:

«انه سيكون غاية في التسلّط».

ولم تتذكر كيم، الا بعد ان نطقت بضع كلمات، ان سوزان قالت انها لا ترغب ان يتسلط عليها احد.

«يمكنك ان تقولي هذا مرة اخرى. فهو سيفرض على عروسه المسكينة ان تكون طوع بنانه بعد ساعة من قرانهما».

فكرت كيم ان هذا قول آخر مبالغ فيه. ومع ذلك فهي لن تحسد المرأة التي قد تكون حمقاء الى حد الزواج من روك.

في اليوم التالي امتطت كيم صهوة حصانها، واجتازت الحقول المحيطة بمسكن كاتانيا باتجاه ممرّ منعزل يقطع الغابة ويؤدي الى قرية افريقية. وانتصبت عن يمينها الجبال التي تنحدر حتى تصبح تلالا خزفية. كان بالامكان رؤية مجرى الجدول المتعرّج ينحرف بعيدا وقد احاطت بضفتيه الاشجار. اما اشعة الشمس المحرقة، فسطعت بقسوة. لكن كيم بدأت تألف الحرارة، ولم تعد تزعجها كثيراً في هذه الايام. وغالباً ما نهضت في الصباح الباكر مدفوعة بالرغبة لمعاينة مشهد شروق الشمس الأخاذ حيث تنتشر الاشعة القرمزية في الافق بشكل مروحة معلنة ارتفاع كرة الذهب العملاقة، لترسل الوانها الصفراء والقرمزية والكهرمانية والصفراء الضاربة الى الحمرة». والخضراء والبنفسجية. والشروق سريع تمتلء معه السماء في دقائق بالنور تعكسه على المروج والغابات الكثيفة الموحشة.

وكانت كيم قد عكفت على العمل مستفيدة من ساعات الصباح المنعشة. وعند الساعة الحادية عشرة اصبح بامكانها ممارسة رياضة ركوب الخيل التي تستغرق منها ساعة في العادة. نظرت الى الساعة. فوجدتها الثانية عشرة الا ربعاً. الغداء يقدم عند الثانية عشرة والنصف. استدارت وعادت مسرعة. وضاقت حدقتاها على رغم انها ارتدت نظارات سوداء. وكانت قد وصلت الى البيت تقريباً عندما رأت روك يقف ويراقب عماله يوقعون شجرة ماهوغاني ضخمة وقد ارتدى قميصاً مخططة وبنطالا كحلياً. كان رجل قفار طويل القامة مفتول العضلات متميزاً بين افراد جنسه.

ولما رآها روك حيّاها بعدم اكتراث. فاطرقت وتابعت سيرها نحو مسكن كاتانيا حيث جلس بارت على الشرفة محتضناً مسند كراسته. وارتسمت على وجهه ابتسامة سريعة فيما رأى كيم تضع سامي في الاصطبل وتتسلق

الدرجات مسرعة وقد اشرق وجهها نضارة بعد تمرين الركوب، وانسدل شعرها يلامس كتفيها. ثم نزعت كيم نظاراتها لتضعها على الطاولة.

وقالت وكأنها تجيب على سؤاله:

«كانت رحلتي ممتعة. اشكرك يا عزيزي بارت على شرائك سامي لي».

«اسعدني ذلك كثيراً يا كيم».

«وهل لديك بعض الملاحظات لاطبعها بعد الغداء؟».

اجابها وهو يعبس فجأة:

«القليل، عملي اصبح شاقاً».

«ماذا...؟ الكتابة ام البحث؟».

«كلاهما. ربما كان الأفضل ان اتقاعد. فقد حققت ارباحاً كبيرة».

وتساءلت اذا كان صوتها ينمّ عما راودها من مخاوف:

«تتقاعد؟ انك لم تذكر شيئاً عن هذا الموضوع من قبل».

«لم يخطر لي شيء مثل هذا من قبل. ولكنني وانا اجلس هنا اليوم اتعب في كتابة ملاحظاتي واشقى لاجد الكلمات المناسبة... كنت دائماً اقول انه متى اصبح عملي شاقاً سوف اتخلى عنه».

«وهل اصبح عملك شاقاً فعلاً؟».

«للغاية يا كيم».

«لا عليك. فليكن هذا يوم عطلة. وسيكون الغد مختلفاً».

«كلا يا عزيزتي. ليس بهذه السرعة على الأقل».

«ما رأيك باجازة استجمام؟ بامكاننا ان نذهب الى شاطىء البحر».

«سوف اقضي فترة استجمام يا كيم. ولكن هنا في البيت».

انزعجت كيم لانها طوال معرفتها ببارت رأت فيه الحماسة والاندفاع للعمل. وظنت انه لا بد يعاني من اعتلال في صحته حتى يشعر بالكسل وعدم الاكتراث.

وصل روك بعد الظهر محضراً بعض المجلات التي وعد باعارتها لبارت. وهي تتعلق بموضوع الحياة في القفار الافريقية وتتضمن مقالات حول نباتات نادرة لا يعرف بارت عنها الا القليل.

واستعدت كيم لتلقي تحية روك الباردة المعتادة. لكنها فوجئت اذ رأت ثغره يفترّ عن ابتسامة عريضة بدل السخرية المعروفة فور دخوله غرفة

الجلوس بصحبة بارت.

«مرحباً يا آنسة مايسون. هل كانت رحلتك ممتعة هذا الصباح؟».

«جداً. اشكرك يا سيد لنتون».

قطّب بارت جبينه بعصبية وهو ينقل نظره من كيم الى روك الواقف بجانب الباب وهو ينتظر ان تجلس كيم اولا:

«جميع الناس هنا يستخدمون اسماءهم الاولى. واظن انني قلت ذلك من قبل».

ابتسم روك ساخراً ليفاجىء كيم بقوله:

«لعله يجب ان نخضع لرغبة بارت الذي يبدو مصراً على رأيه».

حدقت اليه وقد تغير لون وجهها:

«اذاً... اذاً كان هذا ما تريده يا سيد لنتون...».

اضاءت عيناه الرماديتان مرحاً:

«هذا ما يريده بارت يا آنسة مايسون».

عندئذ طقطق بارت بلسانه غاضباً:

«استحلفكما بالله ان تتوقفا عن هذه البلاهات. فماذا دهاك يا كيم حتى تتبرمين مللا وتحمرّين خجلا وكأنك مرتبكة؟».

وقاطع روك بارت بتهذيب:

«انها مرتبكة فعلاً. وارجو ان تأخذ كلامي على محمل الجد. فستقتضي اسابيع طويلة قبل ان تلفظ اسمي بدون ان يتغير لونها وتطرف جفونها...».

فصاحت في وجهه، ثم نظرت اليه مباشرة وقالت بصوت عال:

«كفاك سخفاً. روك. انظر. هل بدا علي الخجل؟ او هل طرفت جفوني؟».

«كلا يا كيم. ولكن فقدت السيطرة على اعصابك- كالعادة».

بيد ان بارت قاطعه وقد ظهر عليه الانزعاج. ثم حدق اليه وهو يقول:

«حسناً. تجاوزنا هذه العقبة. وارجو ان تتوقفا الآن عن مشاحناتكما. فانتما تبدوان اسوأ من الاطفال المتخاصمين. وارجو ان تقول لي اذا كان هنالك من سبب للطعن بمزاج كيم».

اجاب روك:

«كلا. لا سبب على الاطلاق».

وتفحّص بارت بدقة. ثم حوّل بصره الى كيم. وبدا عابساً بينه وبين نفسه، وكأن امراً غريباً قد تكشّف له. وكان هو الذي فاتح كيم بالموضوع الاكثر الحاحاً بالنسبة اليها بعد ان استأذن بارت بمغادرة الغرفة.

«هل احسست مؤخراً ان بارت ليس على ما يرام؟».

توترت اعصاب كيم من السؤال برغم صياغته اللبقة. واكفهرّ وجهها بينما تلعثمت في جوابها:

«هل... هل تظن انه مريض؟».

ارتسم العبوس في عيني روك. ورأت كيم انه بالغ التأثر من الاسئلة التي تبادلاها. فهو شديد الاهتمام ببارت والاخلاص له برغم فارق السن بينهما. وكانت كيم تعرف ان روك يستمتع للغاية في احاديثه مع بارت. فهما ندّان في التفكير والذكاء، ولهما اهتمام مشترك حول الخطر المحدق بحيوانات افريقيا البرية، كما يعبران عن اسفهما لانقراض فصيلة او فصيلتين منها. وقد اصبحا صديقين حميمين بالفعل. لذا سهل على كيم ان تفهم سبب قلق روك على صحة بارت. واخيراً قال روك بتروٍ:

«احس انه ربما كان مريضاً. ولذا سأقترح عليه ان يعرض نفسه على طبيب».

«شكراً».

الارتياح في صوت كيم لم يكن خافياً على روك. ثم قال وقد عبس ثانية:

«انك قلقة عليه ايضا، اليس كذلك؟».

«لم اقلق عليه الا اليوم عندما المح الى فكرة التقاعد».

ولشد ما كانت دهشتها عظيمة عندما تلقى روك الخبر وكأنه امر متوقع، اذ اطرق. وعندما عاد الى الحديث، قال بأن بارت يبدو متعباً للغاية. وعلقت كيم:

«اخبرني ان العمل اصبح شاقاً بالنسبة اليه».

«ذكر لي منذ بضعة ايام انه ابطأ في العمل من العادة».

«انه يريد اخذ قسط من الراحة. ولا يفضلُ الذهاب بعيداً برغم اني أؤثر ذلك».

«ستتحسّن حاله في المنزل يا كيم».

ثم رفع نظره الى بارت، الذي رجع الى غرفة الجلوس:

«كنا انا وكيم نتحدث عنك. وازمع ان اطلب اليك عرض نفسك على الطبيب».

«لماذا؟ انا متعب قليلا، وهذا كلّ ما في الأمر».

رد روك بهدوء:

«لا بد من سبب للتعب لاسيّما اذا اصاب رجلا قوياً ونشيطاً مثلك».

«ماذا تقصد يا روك؟».

«ان تعرض نفسك على الطبيب».

«لم اعن هذا، انما عنيت ما يدور في فكرك».

ونظر بارت الى كيم، التي شعرت بانه نادم على ما قال. واكدت كلماته التالية انطباعها:

«لا خطر عليّ يا روك. قد يتعب الانسان من العمل الشاق. وهذا ما حدث لي. وانا وعدت كيم بأخذ قسط من الراحة، وهذا ما سأفعله مدة اسبوعين على الأقل».

لم يذكر احد هذا الموضوع في ما بعد. الا ان نظرة روك المعبّرة باتجاه كيم عندما غادرت مسكن كاتانيا اكدت لها انه سيطلب من الطبيب الحضور الى بارت في اقرب فرصة.

وفي الصباح التالي طلب بارت من كيم الذهاب الى تنغافيل لاحضار بعض الكتب التي أمل ان تكون قد وصلت الى المكتبة. وقال:

«طلبت هذه الكتب منذ بضعة اسابيع. ولذا من الجائز ان تكون قد وصلت الآن».

ثم هز رأسه وهو يرمقها بنظرة متفحصة:

«هل تريدين ان تفعلي شيئاً في المدينة؟».

«اودّ لو اقص شعري او اعيد ترتيبه، فقد اصبح بالغ الطول بالنسبة الى هذا المناخ»..

«قصّي شعرك يا عزيزتي كيم. فانا لن انتظر رجوعك الا عندما اراك على ظهر الحصان».

«ربما لن اتمكن من قصه من دون الحصول على موعد مسبق. الا انني ساجرّب».

ركبت كيم سيارة بارت. واجتازت الطريق البالغة سبعة اميال الى تنغافيل. واوقفت السيارة في موقف النادي. لم تكن الكتب المطلوبة قد وصلت. الا ان عاملة المكتبة توقعت ان تستلم بعض الكتب يوم الخميس. فشكرتها كيم وقالت انها ربما عادت بعد الظهر للسؤال. ثم اتجهت الى مزيّن الشعر الذي ابلغها انه ربما استطاع قص شعرها بعد ثلاثة أرباع الساعة.

وبدأت تتجول في الشارع الرئيسي تتأمل البضائع المعروضة في واجهات المتاجر. ورأت عدداً كبيراً من الافارقة لاسيّما الاولاد الذين كانوا يلعبون في الطريق من دون ان تبدو عليهم علامات التأثر بحرارة الشمس القاسية. واحست كيم، بالعرق والحرّ رغم انها ارتدت تنورة قطنية قصيرة اظهرت سمرة قوامها وبلوزة بلا اكمام ذات صدار شديد الانخفاض. فدخلت المقهى وطلبت كوب ليموناضة لتمضي الوقت الذي يفصلها عن موعدها. ونظرت عبر النافذة الى اجمة من اشجار جوز الهند الباسقة التي تمايلت اوراقها الطويلة الشائكة في السماء الافريقية الصافية الزرقة. وحضرت النادلة. بيد ان الكلمات ماتت على شفتي كيم عندما ظهر الشخص الذي كان آخر من تتمنى رؤيته قبل برهة وجيزة. واقترب من طاولتها بلامبالاته المعهودة، واستأذنها بالجلوس معها. فتكلفت الابتسام وهي تقول:

«بالطبع يا سيد...».

وصمتت عندما لمحت السخريّة والدعابة تشرقان في عينيه. وقالت بنبرة واضحة ومقتضبة:

«روك»...

«كيف هي حال بارت؟».

«انه بخير. لكنه ما زال يبدو متعباً».

اطرق روك وقال:

«سيزور الطبيب بارت غداً صباحاً. وقد حاولت احضاره الى عيادته اليوم، لكنه لم يكن في البيت. فابلغت الامر الى زوجته التي اكدت لي ان مسكن كاتانيا سيكون اول مكان يزوره في صباح الغد».

«هل يعرف بارت ان الطبيب سيزوره؟».

«سوف يعرف. سأراه بعد الظهر لأتناول معه «شراب الغروب» وحينئذ اخبره بزيارة الطبيب».

«انه لطف عظيم منك ان تكلف نفسك كل هذا العناء».

وانتبهت فجأة ان النادلة تقف بجانبها، فطلبت كوب ليموناضة. وقال روك:

«من فضلك كوب ليموناضة آخر».

ارتاح في مقعده متراجعاً الى الوراء. وتفحّص كيم عن بعد. فالتمع التحدي في عينيها الزرقاوين من دون ان تعرف لذلك سبباً واضحاً. وربما كان السبب علمها بان العداوة بينهما لا تنتهي بمجرد اتفاقهما على امر واحد مشترك هو خير بارت ومصلحته. لا. فعلاقتها مع روك لن تصل الى حد الصداقة. وقبل روك التحدي، فتكاسلت عيناه. وظنت انه لم يجد شيئاً يكلمها به، هذا غريب... غريب للغاية.

وحارت افكارها وهي تتذكر اقوال سوزان: «انا واثقة انه لو اتى اليوم الذي يقع فيه في هوى فتاة ما، فانه سيقاومها بكل قوته».

لم تعرف كيم لماذا خطر هذا على بالها. الا ان السبب قد يعود الى ملاحظتها وسامته واقرّت انه من قبل الاعجوبة الا تتعرّض عزوبيته للخطر.

وتحدث متسائلاً عن الغاية من زيارتها المدينة. فاجابت بصوت منخفض بدا اشد مودة من العادة:

«طلب مني بارت احضار بعض الكتب له من المكتبة».

ابتسم ساخراً وهو يقول:

«انا منضبطان جداً اليوم. واني اتساءل كم سنستمر، على هذه الحال».

«وقتاً قصيراً، اذا كنت ستجرّب علي سخريتك».

عقد روك حاجبيه موبخاً. وانذرها بلطف:

«انك تدفعينني الى اظهار انفعالات اقسى من السخرية».

«حقاً؟».

«يا لك من فتاة متمردة. بل اكثر من ذلك، انك وقحة وعنيدة لا تشبهين السيدات في اي شيء».

«هل هذا كل ما عندك؟».
اجاب مداعباً:
«ربما كان عليّ ان اضيف عبارة: مشاكسة».
احضرت النادلة الليموناضة. وانتظرت كيم ذهابها حتى تقول بالهدوء نفسه على رغم تفاقم غيظها:
«لا يمكنني ان اعزو تصرفك الشنيع الى خبرتك القليلة، هذا اذا كان لديك اي خبرة، في معاشرة السيدات».
«هل تقولين معاشرة السيدات؟».
علت الحمرة وجهها. وتحوّل نظرها الى شعره الاجعد الملتمع تحت اشعة الشمس المتسرّبة من النافذة المفتوحة. وكم تمنت لو تقف وتمسكه بشعره وتشده حتى تنتزعه. ولكن، عوض ذلك لجأت كالعادة الى لسانها:
«اني آسفة على قولي هذا، ولكن...».
غير انه قاطعها ضاحكاً ضحكة ازعجت اذنيها رغم ما فيها من دعابة:
«لا اظن انك آسفة على الاطلاق. وفي اي حال، تابعي حديثك. فانا مستعد لان اسمع بعضاً من كلماتك الجارحة».
«يا لاستبدادك واعتباطيتك وغرورك يا سيد لنتون».
«هل هذا كل شيء؟».
لقد وجّه السؤال فيما ارتجفت شفتاه من الضحك وهو يستعير كلماتها.
«ارى اننا قد عدنا الى استعمال الالقاب».
تجاهلت كيم ملاحظته الاخيرة ونظرت اليه من فوق حافة الكوب الطويل قائلة:
«ربما كان يجب ان اضيف عبارة: لا تطاق».
قال روك بلطف وكأنه يتنبأ:
«لا شك ان احداً سيلقنك درساً تستحقينه ذات يوم».
وعلى الفور ازدادت حمرتها. وسألت بعد ان كبحت جماح نفسها:
«قل لي ما الذي دفعك لمشاركتي طاولتي؟».
رد بلطف وتمهد:
«افترض اني خدعت نفسي حين ظننت انك لن تبدأي معي مشاحنة علنية».

علقت كيم بكثير من الكبرياء:
«انا لم ابدأ يا سيد لنتون».
عندئذ تناول جرعة كبيرة ليطفىء ظمأه وقال:
«دعينا ننتقل الى موضوع اقلّ حساسية واثارة. حدثيني عن الكتاب الذي يضعه بارت الآن».
لم تقرر كيم اذا كانت ستجيبه على طلبه ام لا، لانها رغبت في شرب كوبها ومغادرة المقهى على الفور. الا انه كان من واجبها ان تذكر ان روك صديق بارت مع انها أسفت لتأخرها في التنبه الى ذلك. وقالت:
«انه ليس كتاب اسفار».
«اعرف هذا. فهو يكتب كتاباً تقنياً عن الحشرات والازهار البرية. ان بارت رجل ذكي ومجتهد».
«يبدو انه واسع الاطلاع في مبادىء علم الاحياء».
«هذا واضح. كم سيستغرق منه انجاز الكتاب اذا قرر انجازه؟».
حدقت كيم في روك لان سؤاله عبّر عن شعور تتعذر معرفته. خيّل اليها انه يعتبر فراقها مهماً بعض الشيء بالنسبة اليه. هل كان يشعر بالحزن لتفكك روابط الصداقة التي نشأت بينه وبين بارت؟ من المؤكد انه لن يحزن على فراقها وقالت:
«انا واثقة انه سيكمل الكتاب. اما بصدد الوقت الذي سيستغرقه انجاز الكتاب؛ فمن الصعب تقديره. استأجرنا مسكن كاتانيا كما تعلم. غير انه سرعان ما سيجد بارت مسكناً آخر نستأجره اذا وجد ذلك ضرورياً».
«لكن البيوت غير متوافرة هنا يا كيم».
«سوف يخلي افراد اسرة روبرتسون الكوخ الريفي المؤلف من طبقة واحدة الذي يشغلونه لانهم ينوون زيارة اقاربهم في استراليا».
وأطرق روك فيما تحدثت كيم. ثم انحنى ليرفع كوبه عن الطاولة:
«الحقيقة اني نسيت كل ما يتعلق بالكوخ».
وانتقل الى موضوع آخر:
«افترض ان النسخة النهائية يمكن ان تطبع في انكلترا».
«اجل. لكن بارت يقول دائماً انه من الافضل ان نفعل كل شيء ونحن في الشمس».

«هل تزوران امكنة غريبة دائماً عندما يضع بارت كتبه؟».
«في معظم الاحيان. لقد قضينا في فيجي سنة كاملة. كانت الزيارة رائعة».
«رائع جداً. لا شك انك فتاة محظوظة».
افرغ روك كوبه وامسكه بيده. واخذ يحدق اليه فيما انطلقت افكاره بعيداً. وظنت كيم انها عرفت ماذا كان يفكر، وقالت بعد صمت:
«عليّ ان ابحث عن وظيفة جديدة حين يتقاعد بارت».
«آمل الا يتقاعد عما قريب».
اختفى المرح من صوت روك، وحلّ محله الجفاء الذي ذكرها بنبرته ليلة السبت فور انتهاء حديثهما على الشرفة عندما تغيرت حاله تغيّراً كلياً وقال ان عليهما العودة الى قاعة الرقص وقالت:
«عليّ ان اذهب الى موعدي مع مزين الشعر».
تحولت عينا روك الى قمة رأسها اللامعة. وسألها سؤالاً فاجأها لما اظهر من اهتمامه بها.
«اظن انك ستخضعين لعملية غسيل وتصفيف».
اجابت كيم وهي تضع يدها آلياً على بعض الذؤابات وتطبق اصابعها عليها بشكل مقص.
«هذا صحيح. لكني سأقص بعضه ايضاً لانه طويل جداً».
فعبس روك:
«لا اظنه طويلا. فهو يناسبك كثيراً. والحقيقة انه غاية في الجاذبية والجمال».
حدقت اليه كيم متسائلة اذا كان ما تسمعه صحيحاً. فمن المؤكد ان العجرفة برزت في نبرة صوته والتفاتته. وكان كمن يمنعها عن قص شعرها فقالت:
«اشكرك على مجاملتك. غير انه ينبغي قصه».
«اذن، سيصبح قصيراً».
«جداً».
ثم نظرت الى ساعتها، ونهضت عن كرسيها وقالت في عجل:
«طاب نهارك».

وما هي الا برهة قصيرة حتى عجبت من نفسها اذ اجابت سؤال المزين عن مقدار الشعر الذي تريد قصه:
«مقدار قليل. فانا اريد قص جزء بسيط منه واعادة ترتيبه اضافة الى غسله وتصفيفه».

٣- زيارة منزله

تأمل بارت بعض الاوراق التي اخرجها من ملفه. وظهر الانزعاج على وجهه بينما انتظرت كيم وهي تحمل الكراسة في يدها ان يتابع ما كان يمليه عليها. وفجأة هز رأسه وقال كأنه يحدث نفسه:

«هذا محزن للغاية». .

لقد بدأ في الاسبوعين الاخيرين يتحدث الى نفسه. واعترف ضاحكاً انه ازداد غرابة مع مرور الايام. وقلقت كيم اكثر فاكثر مع كل التأكيدات القائلة بان لا خطر يتهدد صحته. واخبرها بارت ان الطبيب نصحه بالراحة والاسترخاء بعد ان فحصه على انفراد في غرفة نومه وذلك لانه يعمل ساعات طوالا على حدّ قول الطبيب. عندئذ اعترض بارت على الطبيب:

«كل الكتّاب يعملون طويلا. كم يكره الانسان ان يوقف عمله عندما تتزاحم الافكار المفيدة في رأسه».

«عليك ان تتوقف. هذا كل ما يمكنني ان اقوله لك».

ثم التفت الطبيب الى كيم وقد ظنها ابنة بارت:

«هل ستضمنين محافظته على ساعات عمل معينة لا تتجاوز الخمس او الست ساعات كحد اقصى؟».

اجابت كيم وهي تشك قليلا بصدق جوابها، لانها علمت خلال ثماني سنوات من عملها مع بارت انه عنيد:

«سأحاول».

ثم نقل الطبيب عينيه الى بارت. . . وحملت نظرته تحذيراً شديداً. الا

ان كيم اطمأنت بعد ان قال لها الطبيب لدى خروجه:

«لا تقلقي، لان صحته ستتحسن ان هو اتبع الارشادات».

وتحدثت كيم الى روك، ملاحظة الجمود في قسمات وجهه عندما طلبت اليه ان يساعدها في جهودها لمنع بارت عن العمل المضني. ووعدها بان يحدثه في الامر، مما جعل كيم تثق بصدقه.

سألت كيم بارت، وهو يتطلع الى الورقة التي اخرجها من ملفه دون ان يزيد على ما قاله:

«ما هو الامر المحزن؟».

«انني اقرأ بعض الارقام المتعلقة بحيوانات جنوب افريقيا. هل تعلمين ان عدد الفيلة التي تعيش في غابة كنيسنا لم يزد على عشرة في العام ١٩٧٣؟».

هزت كيم رأسها عابسة:

«عشرة فقط؟ هل ستنقرض هذه الفيلة؟».

«لا شك ان كثيراً من الحيوانات ستنقرض نتيجة ابعادها عن مواطنها الطبيعية. فعلى سبيل المثال، لا يوجد ذكر بالغ في قطيع فيلة آدو».

برقت مقلتاها بالدموع:

«لماذا يقتل الناس الحيوانات؟ انا لا استطيع ان افهم ماذا يجني الانسان من تصويبه البندقية على حيوان بري آمن».

«وكذلك انا. لكنني افترض ان ذلك تعبير عن رغبة القتل».

«لعلك تعلم ان بعض فصائل البقر الوحشي انقرضت».

هز بارت رأسه بحزن:

«قرأت عن هذه الحيوانات مرة اخرى منذ بضعة ايام. هل تظنين ان الانسان سيترفع عن هذا العمل؟ اقول بكل أسف، كلا. فكثير من الناس يجدون متعة في تعليق رؤوس الحيوانات كتذكارات على جدران منازلهم».

رؤوس حيوانات محنطة. اقشعرت كيم اشمئزازاً. انها لا تستطيع رؤية هذه الحيوانات والتفكير بانها حرمت الحياة لاجل ارضاء الاهواء. وهمست، وقد اغرورقت عيناها بالدمع:

«الانسان مجرم يفتك بكل ما حوله».

ورأى بارت ان من الواجب القضاء على كآبتها. فاستعاد حيويته،

واقترح عليها اكمال الفصل المتعلق بالعصافير. وقال:

«هل دونت ما قلته عن عصافير السكر الطويلة الذيل؟».

اطرقت كيم وهي تتابع تدوين ما يمليه بارت عليها. ثم اتمت طباعة الملاحظات التي دونتها بطريقة الاختزال. وكان عليها ان تعيد تنقيح وطباعة عشر صفحات من الفصل السابق. الا ان بارت حضر الى مكتبها قبل ان تباشر عملها هذا، وطلب منها الذهاب الى المكتب وهو يبتسم بلطف كالعادة:

«عدت مجدداً الى طلب بعض الكتب، التي يمكن ان لا تكون قد وصلت وذلك عكس ما اتمنى. لا تسرعي في العودة الا اذا رغبت في ذلك. بل اذهبي الى السوق وابتاعي لنفسك ثوباً جديداً وعطراً».

بادلت كيم بارت الابتسام. وركزت بصرها على وجهه بحب شديد مدة طويلة. كان بطبيعته شفافاً، وعرفت انه يرغب في اهدائها الثوب او العطر اللذين اشار اليهما. الا انه احجم عن تقديم اعلان رغبته لعلمه بصدق تحمسها للاستقلال المادي. وكعادتها تساءلت اذا لم يكن من الانانية تبني هذا الموقف تجاه بارت الذي ينظر اليها كابنة اكثر منها موظفة. ورحب، وهو العازب الذي لا اقارب له، بمجيء كيم الى بيته واقامتها معه، وطالما ردد ان ذلك كان افضل عمل في حياته.

قالت باندفاع، وهي تشعر انه ليس من الخطأ ان تكذب على بارت كذبة بيضاء قد تسعده.

«سابحث عن الثوب، على اني سانتظر حتى اشتري العطر. فعيد الميلاد ليس ببعيد وعليّ الا ابدد نقودي».

«هل تقصدين ان العطر الذي تحبينه باهظ الثمن بالنسبة اليك حالياً؟».

«اجل. هذا صحيح».

«اذن، دعيني اشتريه لك».

كان كمن يتوسل اليها، فابتسمت له ابتسامة مرحة مشرقة:

«اشكرك يا بارت. سادعك تشتريه لي».

اضاء وجهه فرحاً بفضل الكذبة البيضاء. وقال:

«سالحّ عليك بطلب شيء واحد هو استعمالك العطر بسخاء!».

«اشعر دائماً ان العطر غال الى حدّ لا يسمح لي بتبذيره».

«لا تخافي. فهو لن يضيع».

«انه احدى الكماليات التي يجب على المرء ان يحتفظ بها للمناسبات الخاصة يا بارت».

«لا تقولي ذلك. فعندما تفرغ الزجاجة، بامكانك ان تشتري زجاجة اخرى».

ثم دفع اليها شكاً مفتوحاً، وطلب منها ان تشتري عطرها المفضل مهما غلا ثمنه.

كان عطرها يدعى «غاي»، وهو ثمين جداً. والحقيقة انها شكت بقدرتها على ابتياعه من مدينة صغيرة. لكنها دهشت كثيراً عندما وجدته، فاشترت اصغر القارورات الموجودة. واخذت تبحث عن ثوب دون ان تقرر ما اذا كانت تريد ثوباً للسهرة او للاستعمال اليومي. وشدّها سروال رقيق خفيف الوزن، فدخلت المتجر حيث وقفت سوزان تنقب بين البلوزات. فاستدارت مبتسمة وحيت كيم التي سألت سوزان بعد ان عرفت انها لم تجد ما تريد شراءه:

«عن اي نوع من البلوزات تبحثين؟».

«عن بلوزة انيقة تحفظ برودة الجسم. وهذا صعب لان البلوزات الانيقة لها اكمام طويلة».

«هل هي لمناسبة خاصة؟».

هزت سوزان كتفيها، وردت البلوزة التي كانت تحملها الى البائعة:

«ستزورنا ابنة خالي عما قريب. لذا فكرت بشراء بعض الملابس الجديدة لعلمي انها ترتدي ملابس رائعة منذ نهوضها من الفراش والى حين تأوي اليه».

ثم انتقت بلوزة اخرى وهي تضحك وتقول مشيرة بيديها الى الواجهة:

«هل تعلمين اني اشتريت سروالاً مثل ذاك المعروض في الواجهة؟ واريد بلوزة تماشيه».

رددت كيم باستغراب:

«السروال المعروض في الواجهة؟ اذن، هناك اثنان».

قطبت سوزان جبينها:

«بكل أسف، اجل. لقد احببته كثيراً، واتمنى الا يجد السروال الآخر زبونة تشتريه وتلبسه في المناسبة التي ارتديه فيها- الست انانية للغاية؟».

ثم شدت البلوزة اليها بشرود، واعادتها الى البائعة التي املت بصبر ان تقرر سوزان شراء شيء آخر الامر. وفجأة سألت سوزان كيم:

«ماذا تريدين ان تشتري يا كيم؟».

«لا افكر بشيء معين».

قررت كيم ان تفاتحها بعد برهة. لقد تحوّل الامر الى عادة. غير ان كيم اصبحت الآن تعرف سوزان جيداً بحيث تشك بانها ستعرض التخلي عن السروال اذا اعربت كيم عن رغبتها بشراء السروال المعروض في الواجهة.

«متى ستأتي ابنة خالك الى منزلكم؟».

«يوم الجمعة في الاسبوع القادم».

«هل ستقضي عندكم وقتاً طويلاً؟».

«ستة اسابيع او اكثر قليلا. هذا يعتمد على حبها للمكان».

«اذن، لن تكون هنا في عيد الميلاد».

وقفت سوزان تحسب الايام، وقالت:

«لا اظن انها ستبقى كل هذه المدة، لأن ثمانية اسابيع تفصلنا عن الميلاد، اليس كذلك؟».

«اكثر قليلا».

«لن تكون ابنة خالي هنا عندئذ، فقد اخبرتني في رسالتها انها تعتبر فترة ستة اسابيع مدة طويلة. لكنها قد تمضي اسبوعاً اضافياً».

نظرت سوزان الى بلوزة جديدة قدمتها اليها البائعة هذه المرة. ثم استطردت متأملة:

«ابنة خالي هي اكثر الفتيات اللواتي اعرفهن حيوية، ويتقدم لخطبتها اكثر الشبان لياقة وملاءمة. لكنها قد تبقى عازبة لشدة دقتها في الاختيار».

«لعلها ما زالت شابة صغيرة؟».

وتكوّن لدى كيم انطباع بانها تناهز الثلاثين على الاقل. وربما نشأ ذلك الانطباع عن اشارة سوزان الى ملابسها الجذابة.

«انها صبية جميلة مفعمة بالحيوية تتمتع بكل نعم الطبيعة ومواهبها. فهي ترتدي افخر الملابس والمجوهرات برباطة جاش، وتحسن استعمال

عينيها الزرقاوين اللتين تنمان عن براءة تشبه براءة الاطفال...».

صمتت كيم، وقد التمعت عيناها بالضحك:

«اظنك تستخلصين اني اغار منها، اليس كذلك؟».

«ابداً. فوصفك لها ممتع للغاية جعلني اتوق الى لقياها. ما اسمها؟».

«رافيلا. انه اسم كلاسيكي قديم لفتاة عصرية اكثر من اللزوم».

رفعت كيم بلوزة قصيرة الاكمام فيما قالت وهي منشدهة:

«يبدو انها ستكون قنبلة الموسم في النادي».

«لا شك في ذلك ابداً. فسيعتبرها من حولها من الرجال بهجة العمر، لانهم لا يرون حسناً يضاهي حسنها كل يوم».

شاق الامر كيم فعلا، وازداد فضولها:

«هل هي صغيرة، ام طويلة، ام شقراء، ام...؟».

«انها متوسطة الطول، ولها جسم يتمنى الرسامون والنحاتون ان يكون لهم نموذجاً».

«ماذا تعمل لكسب قوتها؟».

احست كيم انها اكثرت من الاسئلة. لكنه بدا ان سوزان لا تلاحظ شيئاً لشدة استمتاعها بالحديث.

«انها لا تعمل شيئاً. فوالدها حقق انجازاً باهراً في مطلع شبابه. اذ سجل اختراع مادة ما. فلم تضطر رافيلا مع ذلك للعمل ابداً».

وتوقفت سوزان لحظة:

«واظن ان هذا احد الاسباب الذي يدفعها الى التشدد والتدقيق في اختيارها. فهي بحاجة الى شخص غني يبقيها في الجو والمستوى اللذين الفتهما».

سألت كيم، وهي تشعر بالذنب لاعادة بلوزة اخرى الى البائعة لا لانها جربت واحدة بل لان سوزان طرحت جانباً العديد من البلوزات:

«هل هي قادمة بمفردها؟».

«اجل انها قادمة بمفردها. كانت زوجة خالي سترافقها، الا ان اعتلال صحة زوجها في الآونة الأخيرة اجبرها على ملازمة المنزل».

هنا حملت سوزان بلوزة قرنفلية ظنت كيم انها ستناسب السروال.

وقررت سوزان:

«سأجرب هذه. هل تفكرين في شراء واحدة؟».

«ربما...».

ظلت كيم وحيدة، فيما قادت البائعة سوزان الى حجيرة لتجرب فيها بلوزتها. وبعد عشر دقائق غادرت الفتاتان المتجر، وقد اشترت كل منهما بلوزة، وخلفت البزة، لأن سوزان بذوقها الدقيق الصعب رأت ان لون ازرار المعطف لا يتماشى مع لون قماشه وعرضت البائعة بلطف تغيير الازرار. الا انها اعلمت رفيقتها:

«عليّ ان اذهب الى المكتبة لان السيد ناش طلب بعض الكتب التي آمل ان تكون قد وصلت».

«لن تصل الكتب الى المكتبة قبل وقت طويل خصوصاً اذا كان لا بد من ارسالها عن طريق مكتبة اخرى. لكني اظن انك اصبحت تعرفين ذلك الآن. وفي اي حال، عليّ ان اذهب الى المكتبة ايضاً. فامي تريد كتاباً عن حياكة الصوف».

لم تمض دقيقتان على وجود الفتاتين في المكتبة حتى دخل روك ببرودته واعتداده بنفسه كالعادة. واتجه بسرعة نحو خزانة الكتب المثبتة التي وقفت عندها الفتاتان. وكانت كيم قد سألت عن الكتب التي طلبها بارت، فابلغت انه من الممكن ان تكون قد وصلت، لكنها ما تزال مشغولة. ووعدت الموظفة بان تعطيها الجواب الاكيد بعد عشر او خمس عشرة دقيقة. وفي تلك الاثناء بحثت كيم بين الرفوف لمساعدة سوزان في ايجاد مبتغاها. وقالت سوزان بيأس وهي ترى التغيير في تعبير وجه كيم:

«لماذا ينظمون المكتبة بصورة ادق؟».

ثم ادارت رأسها، وحيّت روك بابتسامة:

«مرحباً يا روك. لماذا ابتعدت عن اشجارك الغالية في هذا الوقت من النهار؟».

ركز روك بصره على وجه سوزان الجميل قبل ان يحوّل انتباهه الى كيم، التي احمرّت خجلا عندما رفع حاجبيه قليلا.

لقد انتبه الى انها لم تقصّر شعرها على نحو ملحوظ... وربما كان يتساءل عن الدافع الى قرارها. لكنه في ايّ حال لم يعلّق على الأمر. فسرّت كيم. وقال متجاهلا سؤال سوزان:

«وعمّ تبحثان؟ هل تريدان كتباً للطهي ام كتباً للادارة المنزلية؟».

وبان المرح في عينيه عندما لاح الغضب في وجنتي سوزان:

«كلا».

ورددت كيم بتأثر يفوق تأثرها:

«كلا».

ولم تتمالك نفسها من القول وهي تحمل كتاب الحياكة الذي رفعته عن الرف:

«هل يمكن ان يشوقك هذا الكتاب؟».

وظهر على الغلاف طفل صغير ملفوف بشال ابيض انيق. ثم اضافت كيم برقة:

«هل تعلم ان الرجال يحيكون الصوف ايضاً؟ وقد سمعت ان ذلك مفيد للأعصاب».

فضحكت سوزان. وخف التوتر. وخاب امل كيم في ان تعرف اذا كانت قد احرزت انتصاراً عليه ام لا وكل ما عرفته هو ان عينيه الرماديتين القاسيتين اضاءتا. فافترضت انها لو كانت مع روك بمفردهما لجرت مشادة جديدة بينهما. ثم رفعت سوزان نظرها الى وجه روك الوسيم:

«عن اي نوع من الكتب تبحث يا روك؟».

واتضح لكيم تأثر سوزان بروك وانشدادها اليه، وان كانت تحاول اخفاء الامر بمرحها في الحديث.

«رواية خفيفة. فانا اشعر بملل، بل بحاجة للاسترخاء».

ثم تفرّس في الرفوف المجاورة:

«هل لديك ما تقترحين يا سوزان؟».

فهزت رأسها:

«ليس لدي وقت للقراءة لكثرة مشاغلي في المزرعة».

هز روك كتفيه واتجه نحو مجموعة كتب اخرى. وادارت كيم ظهرها اليه. ثم سألت سوزان فجأة بعد ان وجدت كتاباً عن قطب الحياكة ظهرت على غلافه صورة لكنزة.

«هل يصلح هذا؟ الم تقولي ان السترة لوالدك؟ اظنه سيفرح بارتداء مثل هذه السترة».

فتحت سوزان الكتاب واضافت:
«ان حياكتها سهلة. وهي جميلة».
ثم نظرت الى ساعتها:
«آسفة يا كيم. لا اعتقد انني سابقى معك مدة اطول».
«حسناً. ساعرف في غضون خمس دقائق اذا كانت كتب بارت قد وصلت».
ما كادت سوزان تغادر المكتبة، حتى عاد روك الى المكان الذي وقفت فيه كيم. واعطاها كتاباً قبلته قبل ان تعرف ان عليها محاذرة مكره. وقال بينما افترّ ثغره عن ابتسامة:
«ظننت ان هذا سيكون نافعاً لك».
ركزت نظرها على العنوان:
«كتاب الدلفين لآداب الحديث والسلوك العامة».
لم تستطع ان تقول اكثر من:
«انك... مقيت ولا تطاق».
«واظنكِ ستفرحين للغاية لو قذفته في وجهي».
«ربما. ولكن، نظراً لاستحالة هذا الامر في مكان عام، فسوف ارجعه اليك، آملة ان تقرأه بنفسك يا سيد لنتون وتستوعب النصائح الوجيهة التي اؤكد لك ان الكاتب يسديها لك ولامثالك».
ولشد ما دهشت عندما رأته يضحك. فهي لم تتمنّ ذلك، وانما تمنت ان تراه غاضباً خصوصاً بعدما تذكرت قوله مرة وقد اغاظها الى أبعد الحدود بملاحظاته الجارحة: «ان المرأة هي الطرف الوحيد الذي يغير موضوع الحديث لاتفه الاسباب». وسألته عندئذ اذا كان لا يغضب. فنفى. ومنذ تلك اللحظة اصبح هدف كيم الضمني اثبات خطأه.
قبل روك الكتاب، وقال فيما تناوله من يدها المرتجفة:
«كيم، لنتجنب الوقوع في مشادة كلامية هنا. ما رأيك في اعلان هدنة لمدة ربع ساعة او نحوها بينما تتناولين شاي بعد الظهر معي؟».
حدقت كيم اليه وقد دهشت لخلو نبرته من التهكم والتحدي المألوفين. والحقيقة ان صوته عبر عن قدرة في الاقناع لا يمكن تجاهلها. ووجدت نفسها تقول:

«اشكرك يا سيد لنتون...».
وتوقفت عن الكلام عندما رفع اصبعه بسرعة كأنه يوبخها:
«روك... اظننا اتفقنا على التقيّد برغبة بارت المبهمة والقاضية باستعمال اسمينا».
«المبهمة...».
التمع في عيني روك تعبير غريب للغاية وهو ينطق بهذه الكلمة.
واعترفت كيم بعد صمت قصير:
«اجد صعوبة في مناداتك رر... روك لكثرة مشاجراتنا وعدم اظهارنا المودة لبعضنا».
اجابها والتهكم يشع في عينيه:
«كم ظهر اسمي رائعاً عندما تلفظت به. وبالمناسبة، لا اظن عبارة «مشاجرة» معبرة على نحو كاف».
تركت كلماته وملامحه اثراً غريباً على مشاعرها. وتسارع نبضها. سخر منها ثانية. غير انها تعجبت لعدم شعورها بالاستياء او بالرغبة للرد عليه هذه المرة، بل طرقت موضوعاً جديداً:
«الحقيقة اني جئت الى هنا لآخذ بعض الكتب لبارت. والموظفة تحاول ان ترى اذا كانت قد وصلت».
«متى طلب تلك الكتب؟. الأرجح انها لم تصل. وفي اي حال، اي نوع من الكتب هي؟».
اجابته كيم فيما رأته يعبس ويهز رأسه:
«احدها عن اخضرار الطبيعة في جنوب افريقيا. اما الآخر، فلا اعرف موضوعه لاني لم ارافق بارت حين حضر لطلب الكتب».
ثم نظرت الى الموظفة التي خرجت من الغرفة الواقعة خلف المكتب. واومأت الموظفة بيدها معتذرة لعدم وصول الكتب. وختمت حديثها بالقول:
«هل تحضرين الى المدينة في الاسبوع المقبل؟».
«اجل. يمكنني المجيء».
«ربما وصلت الكتب يوم الخميس او الجمعة المقبلين».
ولما خرجا من المكتبة الى الشارع، قال روك:

«بامكاني اعارة بارت كتاباً حول الاخضرار الطبيعي. زوريني في البيت وانتِ في طريقك الى مسكن كاتانيا حتى اعطيك اياه».

«اشكرك. وسيمتن بارت لبادرتك».

ثم دخلا مقهى. فطلب روك ابريق شاي وبعض الحلوى. فحضر الطلب على الفور وسكبت كيم الشاي. ثم نظرت الى طبق الكعك، الذي اختار منه روك كعكة فيما اختارت هي كعكة غطيت بالقشدة. فسألها:

«الا تخشين السمنة؟».

وتنقلت عيناه بين اجزاء جسمها، التي امكنه رؤيتها من مقعده المقابل لها خلف منضدة منخفضة في احدى زوايا المقهى، وقد ظللتها شجرة نخل زرعت في اناء ضاق عليها مع استمرار نموّها. فاجابت وهي تقطع الكعكة بشوكتها:

«اني محظوظة».

لم ينبس روك بكلمة، بل نظر اليها وقد ارتسم على وجهه تعبير غريب ليس فيه شيء من السخرية او التكبر. لم تواجه مثل هذا الشعور الجديد المتغير الذي ترك آثاراً غريبة عليها. فشعرت انها لم تعد قادرة على التخلص من طيفه بسهولة كالسابق. ودفعها هذا الاعتراف الى العبوس والسعي لتحليل مشاعرها. والاستنتاج الذي طلعت به من بحثها هو حقيقة انزعاجها- وهذا اقل ما يقال- من روك الجالس قبالتها والذي يركز بصره عليها. وللمرة الاولى فقدت الثقة بنفسها اثناء حضوره. فهي حتى الآن تتعامل معه معاملة الندّ للند مع انها لم تشعر لحظة بنشوة الانتصار الفعلي... ولطالما تمكنت من الرد على عباراته فور التفوّه بها. لكنها الآن... وأسفت وهي تحس ان هدنتها خير. فجأة قال روك:

«انك غارقة في التفكير. هل تفكرين بكتاب بارت؟».

بدا كمن يحاول استجوابها. فتعجبت كيم للأمر.

«كلا. الحقيقة اني طرحت على نفسي سؤالاً وحاولت الاجابة عنه. وقد حضرني الجواب الآن».

فرمقها روك بنظرة متفحصة:

«هذا لغز، اليس كذلك؟».

ضحكت ضحكة خفيفة، واجابت من دون تردد:

«لا يمكنني ان اخبرك بكل ما فكرت فيه. غير اني استطيع ان اقول بعضاً منه».

«اذن، سأرضى باليسير من كرمك».

وعلى رغم سخريته، لم تحس كيم بالفزع او اليأس:

«الحقيقة اني تساءلت عن السبب الكامن وراء تغير شعورك ومزاجك يا سيد... رر... روك».

رفع حاجبيه:

«تغير في شعوري؟ عليك بمزيد من التوضيح».

«لقد تخليت عن شعورك بالتفوّق مما جعلني لا اشعر بانني انثى ضعيفة محتقرة، ومستعبدة».

عرفت كيم لماذا نطقت بمثل هذه الكلمات. لم يكن ذلك لرغبة في مجادلته، وهو الذي ابتسم قليلا:

«ها؟ اذن انت من ذوات المخالب، اليس كذلك؟ تذكري يا كيم ان السخرية لا تناسبك».

لم تجب بشيء، بل تناولت قطعة اخرى من الكعك بينما استطرد هو متهكماً:

«ارى انك عدت الى التلفظ بالعبارات القاسية والجارحة. مستعبدة؟ في الحقيقة ارى ان الرجل الذي يحاول استعبادك هو بطل شجاع».

فافلتت منها ضحكة اخرى. ولاحظت بشيء من الغموض ان ذلك اعجبه اذ اضاءت مقلتاه المتحجرتان بعد ان انتقلتا من فمها الى عينيها اللامعتين بالمرح. واعلنت بثقة وهي تلتقط بالشوكة قطعة الكعك الاخيرة:

«وانه لم يخلق بعد».

اجابها متهكماً وكأنه ينذرها بقسوة وعناد:

«هذا قول خطير. حاذري ان تقاومي القدر، لانك قد تجدين نفسك ذات يوم وقد التقيت بمن هو اقوى منك».

وبسرعة التقت عيناها بعينيه بينما تسارع نبضها كما حدث قبل قليل. وتساءلت بكبرياء:

«من يتكلم بالالغاز الآن؟».

«انها لجسارة، بل وقاحة، ان تقولي ان الرجل الذي سيدجّنك لم يخلق بعد».

«يدجني؟. لم استعمل هذه الكلمة قط.. والارجح اني لن استعملها».

كم فرحت لان فمها كان فارغاً، والا لكانت قد غصّت بالطعام او بالماء.

«يدجّن... يستعبد... قولي لي ما الفرق».

«اظننا سنخرق الهدنة التي تحدثنا عنها».

«هل تتراجعين كما تفعل كل امرأة تشعر بخطر الهزيمة؟ في ايّ حال، اود ان اكرر على مسمعك انك مغرورة خصوصاً عندما تفكّرين ان الرجل الذي سيخلصك من استبدادك وآرائك الاعتباطية لم يخلق بعد».

ربما كانت كيم ستنفجر عند سماعها هذه الملاحظة. لكنها تنفست بعمق وعدت الى عشرة على مهل، ثم قالت بلطف ودلال اذ قصدت جعله يندم على وقاحته:

«انه لكرم منك يا روك ان تعير الكتاب لبارت. وهو لا شك سيفرح به كثيراً. ولكن، هل انت واثق من اني لن ازعجك بزيارتي في طريق العودة؟ فبامكاني ان ازورك باكراً في صباح الغد- اذا كان هذا يناسبك اكثر».

هكذا سيرى كيف يمكن ان تكون لطيفة وجذابة اذا شاءت. لكنها صدمت لانه لم يفهم قصدها الخفي واذا فعل، فانه اختار تجاهله بالقول:

«لو كنت ستزعجيني، لما اقترحت عليك زيارتي اليوم».

ثم حدق اليها... فعرفت ان تفسيرها الثاني هو الصحيح لان روك تجاهل مسعاها المقصود معتبراً اياه تصرفاً طائشاً. وثار ثائرها. فما الذي يعطي هذا الرجل مناعة مثيرة للسخط ضد محاولاتها المتكررة للرد عليه؟ وقالت باقتضاب:

«اني مستعدة للذهاب، وارى انك قد انتهيت من شرب الشاي».

«هل يمكنني ان اسأل عما اصابك الآن؟».

«لا افهم قصدك».

«لا شيء سوى ان حالك تغيرت كلياً».

«ما زلت لا افهم قصدك».

تشنج فم روك وايقنت كيم انه تمنى مخلصاً لو يهزها هزاً عنيفاً. وقال:

«انك تبدين لطيفة وجذابة للحظة. ثم لا تلبثين ان تنقلبي قاسية وعنيفة. وارى انك تتوددين اليّ، الا ان طبيعتك الجموحة تطغى عليك فلا تستطيعين كبحها تماماً كما لا تقدرين على كبت ثورتك».

ازدادت حدقتا كيم اتساعاً. وعجزت عن النطق لفرط دهشتها. واخيراً تمكنت ان تقول ان تصرفاته محيرة للغاية، وان وقاحته الظاهرة اشد ارباكاً لان لا مبرر لها. ومن ثم انتظرت ردّه وهي تلاحظ الدهشة في عينيه والتوتر في فمه. هل تمكنت آخر الامر من اثارته؟ انتظرت اشارة تدل على فقدانه السيطرة على اعصابه. الا ان آمالها خابت، اذ استرخت عضلات وجهه واستعاد قسماته المتهكمة المرحة المألوفة.

وثارت حفيظتها لانه تحدث بهدوء وبصوت لطيف رخيم:

«قلت انك مستعدة للذهاب. سأحمل حزمتك هذه».

اعطته الحزمة بينما نهضا عن كرسيهما، ودفع روك الحساب ثم اشار الى سيارته:

«سيارتي هناك. بامكانك ان تتبعيني».

وانتظر حتى فتحت الباب فوضع الحزمة على المقعد المجاور لها وهو يقول مؤكداً:

«لن اسرع».

ولحقته كيم بسيارتها وهي تجيل بصرها في المروج السمراء الداكنة والمناظر الريفية البدائية. ورأت في البعيد التلال الصغيرة المنحدرة وقد التحفت الجبال الضخمة. وبينما اتسمت فترة بعد الظهر باشتداد الحرارة، ارتفع الآن ضباب افريقي ازرق شبيه بالدخان. اما عن يمينها، فانبسطت غابات روك الشاسعة حيث نمت اشجار الابنوس والماهوغاني واشجار خشب الحديد ذات الجذوع الصفراء الطويلة التي يبلغ ارتفاعها خمسة واربعين متراً اضافة الى الاشجار ذات الاخشاب الثمينة.

وانحسر المشهد عندما انحرفا عن الشارع العام الى طريق خاص محاط باشجار المانغا يؤدي الى منزل ناصع البياض اطلق عليه اسم لوساكا جد روك الذي انشأ تلك المزرعة الواسعة قبل اكثر من خمسين سنة. وظلت

كيم تتبع السيارة التي تتقدمها بعد ان خففت سرعتها كثيراً. ورأت داخل بوابة المنزل شجرة زاهية الالوان ذات ازهار حمراء بلون البرتقال، وتأملت روعة ائتلاف لونها مع لون السماء اللازوردي. وامتلأ انفها برائحة اشجار البلسم قبل ان تخرج من السيارة، فوقفت هنيهة طويلة وهي تمسك بالباب المفتوح وتنظر الى الحديقة الاستوائية الخصبة وقد ماجت بالالوان وعبقت بالعطر. وتمكنت من التعرف الى بعض الاشجار والازهار.

تنهدت كيم وقد اخذ الاعجاب منها كل مأخذ حتى نسيت ما حولها:

«ان حديقتك رائعة يا روك... وانا لم ار حديقة تضاهيها جمالاً».

طغا رضاه على برودته:

«تفضلي بالدخول حتى احضر لك الكتاب».

وتقدمها متسلقاً خمس درجات من الرخام الابيض قبل ان يدخل رواقاً ذا اعمدة تدلت فوق قنطرته عريشة زرعت في مكان غير منظور. ثم دخلت كيم الى بهو انيق له نوافذ واسعة تطل من جهة على الحدائق الغناء، بينما تشرف من الجهة الاخرى على بركة للسباحة تمايلت فوق مياهها الزرقاء اشجار النخيل، وانعكست اوراقها الدقيقة على صفحة الماء الهادئة. كما احيطت جوانب البركة بالأزهار الاستوائية التي زينت ايضاً غرفة تبديل الملابس. وبعيداً الى الشرق من هناك علت الجبال كأنها درع تقي الغابات الكثيفة التي شكلت معظم اراضي روك. ورأت كيم الرجال يعملون بين الاشجار، فيشذبون غصونها الميتة، ويرشون اوراقها بالأدوية.

ثم عادت تنظر الى الغرفة تتأمل الفخامة والفن اللذين اشار اليهما بارت واللذين تمثلا في البسط التركية المفروشة فوق ارض مصقولة للغاية، وفي قطع البورسلين الصغيرة النفيسة الموضوعة فوق موقد حجري كبير، والاثاث المغطى بقماش غالي الثمن، والازهار المرتبة بعناية في مزهريات قديمة من الفضلة والزجاج المقطع. واحتلت خزانة كتب كبيرة احد الجدران بطوله. الا انها لم تضم الكتاب الذي وعد روك باعارته لبارت. وسمعت دقات الساعة في الزاوية، فنظرت الى ساعتها. انها الرابعة والنصف. لقد بدأت الشمس رحيلها نحو المغيب، وتلبدت الغيوم ذات الاطراف الذهبية فوق التلال. ثم عاد روك ممسكاً الكتاب بيده. فاخذته منه كيم، واستعدت للخروج قائلة:

«شكراً جزيلاً».

وسألها روك:

«هل يأخذ بارت قسطاً من الراحة كل يوم؟».

اطرقت:

«انه يطبق التعليمات بدقة، والحقيقة انه ادهشني بذلك».

خلا وجه روك من اي اثر للانفعال وهو يقول:

«حاذري في طريق عودتك من بعض الشقوق الجديدة في الطريق قرب مسكن كاتانيا. انها نتيجة الامطار الغزيرة التي هطلت مؤخراً».

«سأفعل. فالى اللقاء يا روك. اشكرك مرة اخرى على الكتاب».

تحركت السيارة الكبيرة من امام المنزل على مهل. ثم زادت سرعتها وهي تقترب من البوابة. ولما نظرت كيم عبر المرآة، رأت روك ما زال واقفاً هناك ينتظر ان تغيب السيارة عن نظره.

٤- الدروس الأولى

نظرت كيم في المرآة للمرة الأخيرة وهي تعبر القاعة. واطرى بارت، الذي انتظرها عند الباب، حسن مظهرها. فقد ارتدت ثوب حرير سميكاً أبيض ضارباً الى الصفرة انخفض اعلاه قليلا الى عنقها. وتنورة اتسع اسفلها. والقت على كتفيها دثاراً ذا لون مناسب، كما حملت على ذراعها عباءتها المخملية.

«هل اعجبك عطري؟».

طرحت كيم هذا السؤال على بارت بعدما قال كل ما عنده عن ثوبها وشعرها وعقدها الذهبي الانيق وسوارها الرائع. وكانت تحمل حقيبة مسائية ثمينة ذات قفل ذهبي، زيّنت بمخرمات ذهبية، وعلقت بحمّالات مجردة. لم يقل بارت عن الحقيبة شيئاً، لانه هو الذي اهداها الى كيم في عيد الميلاد قبل ثلاث سنوات، ونالت اعجاب كل من رأى كيم تحملها. ولما ادركت كيم مدى السعادة التي غمرت بارت نتيجة عثوره على هذه الهدية الجميلة واخبرته بانها تعتبرها كنزاً تنوي الاحتفاظ به الى الابد.

«كم اتمنى لو انقص اربعين سنة من عمري واعود شاباً».

ضحكت كيم وهي تلاحظ الوميض في عينيه. وقالت:

«انه العطر الذي اهديتني اياه الاسبوع الماضي. اني احبه كثيراً».

«واتمنى ان اعرف اذا كان روك...».

وصمت، فنظرت كيم اليه حائرة:

«وماذا كنت تنوي ان تقول يا بارت؟».

اجاب وقد اكتنفته الكآبة:

«لا شيء... لا...».

وفتح الباب الامامي:

«استعدي يا كيم لاننا سننطلق».

وصعدت الى السيارة. وراقبته يديرها ثم يضغط على الدافع. ولما وصلا الى نهاية الممر، وانعطفا نحو الشارع، سألت:

«ماذا كنت تنوي ان تقول عن روك الآن؟».

«عن روك؟».

قالت بلطف:

«بارت، لماذا تراوغ؟».

حرف بارت السيارة قبل ان يبدل السرعة. ثم قال:

«كيم، يا عزيزتي، انك تصنعين من الحبة قبة. فانا لا استطيع ان اتذكر ما نويت قوله عن روك. ربما كنت اتساءل عن امكان التقائنا به في النادي».

«انه يحضر دوماً الى النادي يوم السبت».

«اجل. ولكن ربما لديه بعض الاعمال الاخرى. فالانسان لا يمكن ان يثق من لقاء اصدقائه في النادي او في اي مكان آخر دائماً، اليس كذلك؟».

«هل يهمك وجوده في النادي الليلة الى هذا الحد؟».

لم تعرف كيم لماذا طرحت كل هذه الاسئلة. وكل ما عرفته هو ان حال بارت اربكتها اذ بدا انه يخفي عنها شيئاً يفكر فيه.

«يهمني حضوره الليلة الى النادي بعض الشيء فانا اريد طرح سؤال او سؤالين عليه حول كتاب اعارني اياه».

ومال بارت بالسيارة الى جانب الطريق ليسمح لاسرة افريقية بالمرور.

وعادت كيم تتحدث عن موضوعها السابق، فقالت:

«فهمت».

الا ان كيم لم تفهم شيئاً بالطبع. وظلّ تصرّف رب عملها يحيّرها. لكنها في نهاية المطاف نسيت كل ما يتعلق به وهما يقتربان من النادي. وكان عدد من السيارات قد توقفت فيه. نظرت كيم حولها آلياً. ووجدت ان روك لم يكن قد وصل.

وسرعان ما انفصل بارت، الذي اكتسب شعبية بين اعضاء النادي، عن كيم التي جذبتها سوزان نحوها، وقدمتها الى «قنبلة الموسم الشقراء».

التي كانت قد اخبرتها عن زيارتها. اتسعت حدقتا كيم لشدة ما شابهت الفتاة صاحبات الصور الجذابة على اغلفة المجلات، واللواتي تحسدهن القارئات على حسنهن الفائق والفاتن، ويتمنين لو يشبههن. ولكن، يقسمن في نهاية المطاف ان هذه خدعة تصويرية اذ يستحيل ان يبلغ احد مستوى الكمال.

وصافحتها رافيلا وقد تلألأت عيناها كنجمتين براقتين. وادهشت كيم اهداب الفتاة الطويلة. وعنقها الشبيه بعنق البجع يزينه عقد نفيس من الماس والياقوت الازرق. اما ثوبها الضيق، فكان بالخيوط الذهبية التي تخللته والشق الجانبي الممتد من اسفله الى الركبة نموذج يحتذى. واعتبرته كيم مغرياً. ثم انتقلت عينا كيم الى يدي الفتاة الكاملتي الجمال باصابعها النحيلة الطويلة المزينة بخاتم ماسي نفيس، وفي اليد اليسرى خاتم من الياقوت الازرق طعم ببعض الماسات الصغيرة، في حين صبغت اصابعها بمهارة بطلاء الاظافر. وطابق صوتها شكلها بانخفاضة نبرته والبحة الضئيلة التي تشوبه. فكان مثيراً ومغرياً كالفتاة نفسها. لكن كيم لم تحسدها. ولم تعجب من قول سوزان ان عدداً كبيراً من الشبان الممتازين تقدموا لطلب يد ابنة خالها. ولما احاط الشبان والشابات برافيلا، واختلت سوزان بكيم هنيهة، همست: «اني استمتع كثيراً بمراقبة الاثر الذي تتركه رافيلا على من يدخلون النادي الليلة».

ولاحظت كيم وهي تنظر الى حيث وقفت رافيلا:

«لا بد انكما حضرتما باكراً. ويخيّل لي انها تعرفت بالجميع».

«صحيح اننا حضرنا باكراً، لكن رافيلا لم تتعرف الا على بعض اعضاء النادي».

تلفتت رافيلا حولها قبل ان تتجه نحو ابنة عمتها لتوبخها قائلة:

«اذكر انك قلت انه يوجد هنا بعض الشبان الوسيمين فأين هم؟».

فضحكت سوزان:

«ما رأيك بديكي فارمهاوس؟ فهو طويل، اسمر وانيق. ماذا تريدين اكثر من ذلك؟».

«لا يرجى منه اي خير. لماذا يقلد الرجال النساء هذه الايام؟».

«وماذا عن فال؟ فانه لطيف- آه، لكنني نسيت انه مولع بكيم الى حد

ما».

فكرت كيم بفال، الذي احبته، في الوقت الذي فكرت فيه ببارت، الذي لن تتخلى عنه الا حين يبلغها ان حاجته اليها والى خدماتها انتهت.

عبست رافيلا وهي تتأمل كيم ثم اضافت كمن يرثي لحال كيم:

«لا بأس به».

وسألت سوزان:

«ما قولك بجون باترسون؟ مطلعته البهية ترضي كل الفتيات».

لكنها استطردت تقول بصوت خفيض ينم عن الخجل:

«آه. لقد فهمت. انك تريدين شاباً اسمر قوياً طويلا يمتاز برجولته الاصيلة، وصوت عميق، أليس كذلك؟».

فما كان من رافيلا الا ان ضحكت:

«انك مرحة وممتعة يا سو. وهذه طبيعتك منذ الطفولة».

اجابت سوزان بشيء من الجفاء:

«اشكرك». ثم اضافت: «حسناً يا آنسة الذوق الصعب. ها هوذا اقرب شيء الى الكمال الذي تطلبينه... فهو... الرجل ذو الصوت الرخيم الحاد احياناً كالسوط».

ونادت سوزان روك بهدوء بعد ان دخل الردهة ووقف برهة ينظر حوله:

«روك، ارجو ان تقترب منّا. اقدم لك رافيلا سبالدنغ... اعرفك بروك لنتون».

راقبت كيم روك باهتمام. فلم تلاحظ تغيراً في عينيه اللتين تفحصتا الفتاة من اعلى رأسها الى اخمص قدميها، ثم عادت تحدقان الى وجهها في ثوان قليلة. مدّ يده ليصافح يداً بيضاء صغيرة. وقال ببرودة بينما ارتسمت الصلابة في عينيه:

«يسعدني لقاؤك يا آنسة سبالدنغ».

ورأت كيم الحزن يرتسم في عيني رافيلا الجميلتين اذ وقف امامها رجل لم يتأثر بفتنتها على الفور. وطرفت اهدابها وهي ترفع رأسها لتنظر الى وجه روك. وتلفت روك، فرأى كيم تقف بجانبه فخاطبها ببرودة:

«مساء الخير يا كيم. هل حضر بارت برفقتك؟».

«اجل. ها هو ذا يقف هناك يتحدث مع السيد والسيدة هولت».

«هل هو بخير اذن؟».

خيّل الى كيم ان روك يظهر قلقاً زائداً لا مبرر له في ما خص صحة رب عملها. فعلى رغم قول الطبيب بان الامر ليس خطيراً، فان روك لم يرها مرة الا وسألها عن بارت، وشدد كثيراً عليها بأن لا تسمح له بارهاق نفسه في العمل.

«اجل. انه على ما يرام».

«حسناً».

تلفت روك حوله ليجد هذه المرة شخصاً يرغب في التحدث اليه، فخفض رأسه قليلا وانصرف قائلا:

«ارجو المعذرة».

عبست رافيلا فيما سألت ابنة عمتها:

«ليس الرجل لطيفاً يا سو. اهو كذلك دائماً؟».

«اتقصدين روك؟ اجل، انه كذلك مع النساء. فهو عازب مكرّس. وانا آسفة لذلك يا عزيزتي. اعدك بمحاولة العثور على شخص آخر ترضين عنه».

همست رافيلا بصوت حالم:

«انه . . . انه مثير. اهو عازب مكرّس؟ لا يمكنني ان اصدق ذلك يا سوزان».

«انه يناهز الثلاثين. وحتى الآن لم ينشىء علاقة جدية مع اي فتاة».

«كيف يتسنى لك معرفة ذلك؟».

«اعرف ذلك لاني قضيت عمري كله هنا».

«تقولين علاقة جدية؟ اتقصدين انه يكتفي بالمغازلة؟».

«لا اعني شيئاً من ذلك ابداً؟ ربما توجّب عليّ القول انه لم ينشىء علاقة جدية او غير جدية».

هزت رافيلا رأسها، وحولت بصرها الى حيث وقف روك رائعاً في بزته الكتان البيضاء يتحدث الى رالف آستبوري، الذي يملك ثلاثة متاجر في تنغافيل. وعادت فأدارت رأسها، فتحرّك شعرها الذهبي حول عنقها الى الامام ثم الى الوراء في حركة تشبه انفتاح مروحة السيدات.

«انك بقولك هذا تقصدين انه لم يختبر النساء مطلقاً. لكني ارى انه

يستند الى خبرة واسعة».

ضحكت سوزان وهي تداعبها:

«انه يتحدث بلغة الخبرة والتجربة. وتعالي الآن لأشتري لك ولكيم شيئاً تشربانه فيما نستمع الى قصصك عن مآثرك في دنيا الحب والغرام».

وضحكت الفتيات الثلاث، فجذبن انتباه روك ورفيقه بعد ان انضم اليهما جون باترسون، الذي نطق بشيء جعلهما يطرقان في حين رأت كيم روك يعبس في الوقت نفسه. ولما سارت الفتيات الثلاث باتجاه البار، انضم الرجال الثلاثة اليهن.

والتقت عينا كيم بعيني روك. فلاحظت انّ عبوسه زال، فيما اشار بيده بغرور:

«حاولي ان تبحثي لنا عن طاولة هناك بعيداً عن هذا الزحام».

اتضح لكيم انه توقع منها ان تفعل ما امرها به. والحقيقة ان النادي ازدحم. ولم يسبق لكيم ان رأت في النادي هذا العدد الكبير من الناس في وقت واحد مما جعلها تتساءل: «هل يمكن ان تكون رافيلا السبب؟».

طردت هذه الفكرة من رأسها لسخافتها، لتعود وتكتشف ان تخمينها اصاب، اذ سرعان ما انتقلت الاخبار وحضر الجميع لالقاء نظرة على هذا «الجمال» كما سمعت كيم اكثر من شخص يقول حين اشار الى رافيلا.

عثرت كيم على طاولة، ولوّحت بيدها الى سوزان بينما كانت رافيلا تتحدث مع السيد وايزايث العجوز، وهو عازب لا يتعب من سرد ذكريات شبابه لحين عجز عن جذب اي فتاة اليه بدون بذل الكثير من الجهد. واستمتعت رافيلا بحديث هذا الرجل الغريب. فطرفت اهدابها، وعبثت يداها بالهواء من حولها فيما حركت رأسها فتطاير شعرها بانتظام ظنت كيم انه يلفت انتباه اي رجل. وتبعت نظرات سوزان اتجاه نظرات كيم، فضحكت:

«انها نادرة بين النساء، اليس كذلك؟ لقد قلت لك انها رائعة».

اجابت كيم:

«انها جميلة جداً».

«هل تعلمين انها اجمل مما تذكرت؟ فانا بالطبع لم ارها لسنوات بعد زيارتنا انكلترا معاً حين كانت الحسناء رافيلا في الثامنة عشرة فقط. وارى

انها ازدادت حسناً في السنوات الاربع الماضية».

«الم تصادق شاباً... بمعنى انها تخرج معه وتصطحبه بصورة دائمة؟».

«لم اسمع عن شاب مثل هذا. وكما قلت لك، فان ذوقها صعب. وقد سمعتها الليلة بنفسك اذ اعلنت ان احداً من هؤلاء الشبان الوسيمي الطلعة لم يرق لها».

اجابت كيم وهي تتفحص روك الواقف عند البار يطلب شراباً:

«لا شك ان روك راق لها».

الا انها توقفت وهي ترى كؤوس الشراب تعطى الى روك الذي قدمها بدوره الى رفيقيه الشابين:

«لقد وجدته مثيراً ومغرياً على حدّ تعبيرها هي».

مثيراً ومغرياً... هل يمكن ان يكون روك مثيراً ومغرياً؟ ان الشيء الوحيد الذي اكتشفته كيم فيه هو انه يبعث اليأس في النفس بغروره وكبريائه وشعوره بالتفوق ورأيه السخيف بالنساء.

ركز روك بصره على كيم وهو يدنو منها حاملا كأسها وكأسه. واجبرها عبوسه ان تتنهد بغضب فسمعها والتمعت عيناه بالسخرية. وما لبثت رافيلا ان انضمت اليها، فجلست وهي تنقل نظرها من روك الى كيم ثم الى روك ثانية. وبدا انها شاردة الذهن للحظات. لكنها سرعان ما ابتسمت ابتسامة ساحرة عندما تحدث جون اليها:

«كم ستقيم الآنسة سبالدنغ بيننا، وتؤنسنا بوجودها؟».

لقد اصاب... فكيم لاحظت سرور روك، ولما التقت عيناها بعينيه ثانية، تخلى بلطف عن عبوسه:

«سابقى هنا حوالى ستة اسابيع».

ونظرت رافيلا الى وجه روك قبل ان تضيف بصوتها الاجش المثير:

«من الممكن ان اقتنع بتمديد اقامتي. فهذا كله يعتمد على...».

انهت جملتها بطريقة جعلت الجميع يتطلعون اليها بحيرة الى ان سألها روك بتهذيب ومهابة:

«علام يعتمد؟».

هزت رافيلا كتفيها باناقة وفخامة:

«سابقى اذا وجدت تنوعاً كافياً في نمط العيش هنا».

وطرفت اهدابها الكثيفة لتعكس ظلالا لطيفة على وجنتيها فيما ظهرت الحيرة على رالف:

«تنوع كاف؟ ايّ تنوع يا آنسة سبالدنغ؟».

«لا بد للانسان ان يستمتع بحياته وخصوصاً ايام العطلة. والارجح ان سوزان لن تستطيع ان تمضي معي وقتها كله لكثرة مشاغلها. ولذلك عليّ ان اجد ما يسليني في بعض الاحيان».

تطلعت ثانية الى وجه روك الذي حاول تقنيع قسماته وهو يرفع كوبه عن الطاولة ويتناول جرعة اخرى. وقال جون بشغف:

«ربما كان بامكاني مساعدتك. فلديّ متسع من الوقت لاتجول معك في المنطقة».

اقتنعت كيم ان هذا ليس بالضبط ما ارادته رافيلا في ايّ حال. فهي لو صدقت فقط ان روك عازب مكرس لتوقفت عن اضاعة وقتها. لكن رافيلا اجابت جون وهي تبتسم بمرح:

«هذا لطف كبير منك يا جون. لكني لا اريد ان افرض نفسي عليك».

فقاطعها جون:

«تفرضين نفسك؟ لا شك في اني سأكون غاية في السعادة عندما اتجوّل معك في المنطقة يا عزيزتي الآنسة سبالدنغ».

ارتجفت شفتا سوزان وكيم ضحكاً. ولما رأى روك سعادة كيم، نظر اليها موبخاً. فغضبت. من هو حتى يأمرها بصمت ان تضبط نفسها؟ ثم قال رالف:

«بامكاني ان اقضي معك بعض الوقت ايضاً. فزوجتي مريضة ولذا قلما تخرج الا حين اصطحبها في السيارة. فاذا رغبت يا آنسة سبالدنغ...».

فقاطعته رافيلا وهي تحدق الى الجميع باستثناء ابنة عمتها:

«آه- اني اتمنى عليكم ان تدعوني رافيلا. فلفظة الآنسة سبالدنغ لفظة خشنة ولا تنم عن صداقة ولطف».

تابع رالف حديثه باصرار:

«اجل... حسناً يا رافيلا. اود التأكيد بانه لو رغبت لكان بامكاننا ان نقضي يوماً او يومين بالتجوال عبر الريف».

«ان هذا لممتع».

وظنت كيم وهي تنظر الى روك انه من قبيل التهذيب ان يعلن عن تخصيص بعض وقته لرافيلا خصوصاً ان رفيقيه اعلنا تقديم وقتهما بسخاء لها. لكنه ظلّ صامتاً. وبعد قليل تطلعت كيم الى روك اثناء الرقص:

«لم تكن سخياً وكريماً مع رافيلا، وقد كان بامكانك ان تكون اكثر شهامة وتعرض عليها أن ترافقها في نزهة. فقد سمعت– حتى قبل ان اصل الى هنا انا وبارت– عن كرم شعبكم العظيم ولطفه البالغ تجاه الغرباء».

اجاب وهو يدفعها الى الحافة الخارجية لحلبة الرقص حيث خف الزحام:

«سمعت اذن؟ ارجو الا نكون قد خيبنا آمالك بحسن ضيافتنا».

فما كان من كيم الا ان ضحكت:

«انت تعرف جيداً اني لا اتحدث عن نفسي».

«ولكن عن رافيلا ذات الشعر الذهبي والعينين الزرقاوين، اليس كذلك؟».

«اذن، بوسعك ان تنظم الشعر. لقد ادهشتني بفنك».

علق وهو يظهر صرامة كان من الممكن ان تزعجها، لكنها لفرط دهشتها لم تغضب:

«ان السخرية لا تنفعك. ولو كنت شقيقتي لاجبرتني على ان اشدّ اذنيك بين حين وآخر».

جرحتها كلماته. فاختلّ توازنها واحست بغصة في حلقها فيما اخفق قلبها بقوة. وادركت انه لا بد ان يحس بما اصابها من تغيّرات. وتلعثمت وهي تستدرك نفسها:

«اني... اني آسفة. لقد اختلّ... اختلّ توازني».

تحركا ثانية الى حلبة الرقص حيث قال روك:

«هذا ناتج عن حدّة طبعك».

«انك تقول اشياء تغضبني».

«ان ضعفك يكمن في سرعة غضبك وسهولة ازعاجك».

«انا لا اغضب الا في حضرتك».

«اجل. وما زلت اذكر ان بارت قال انك لا تصيحين في وجه احد سواي».

«هل يزعجك الا نرقص ابداً؟ فانا افضّل صحبة اناس اشدّ تهذيباً منك».

«لا تتصرفي كالاولاد يا كيم. فانت غاضبة ومضطربة».

«لست غاضبة او مضطربة».

«سواء كنت ام لم تكوني، فانك بحاجة لبعض الهواء البارد المنعش».

جاء قوله بمثابة ملاحظة. لكنها لم تجد امامها خياراً اذ قادها نحو الشرفة لينزلا السلم باتجاه الحديقة. وكان بوسعها ان تجادله وتناقشه، غير انها امتنعت عن ذلك لوجود عدد كبير من الناس خرج بعضهم الى الشرفة وبعضهم الآخر الى الحديقة هرباً من الحرّ في داخل قاعة الرقص. وقالت له بصوت تحكمت بنبرته بصورة مدهشة خصوصاً ان الفرح سرى في كل اجزاء جسمها:

«كم اتمنى ان افهمك».

اجاب روك بلطف وهو ما زال يمسك بذراعها وقد خفف قبضته عليها:

«ليس من الضروري ان تفهميني. هل تشعرين بالتحسن هنا في الخارج حيث يمتاز الجوّ بلطفه وبرودته؟».

«اجل».

«هذا ما ظننته. فالجو شديد الحرارة في الداخل. والحقيقة اني لم ار النادي مزدحماً كما هو الليلة».

مشى ببطء مواكباً خطوتها. وتنفست الصعداء فرحة لانه اخرجها– الى هنا. وسألها بعد ان سارا بعض الوقت مبتعدين عن النادي:

«ماذا نويتما ان تعملا انت وبارت في عيد الميلاد؟».

«اظن اننا سنبقى في المنزل، لاني اقترحت على بارت ان ننزل في فندق بعيد اذ ليس هناك سوانا نحن الاثنين، فلم يُبدِ حماسه. لقد تغير بعض الشيء».

وظهر لها كأن روك قد نسي سؤاله عن عيد الميلاد اذ قال:

«تغيّر؟ من ايّ ناحية؟».

«اولا، اصبح يتكلم مع نفسه بصوت عال».

«آه. أجل. وماذا بعد؟».

ظنته كيم شديد القلق، وتذكرت انها لاحظت اهتمامه وقلقه حول

صحة بارت. فقالت:

«حسناً. . . عليه ان يتناول هذه الحبوب التي اعطاها له الطبيب. ولست اعرف طريقة استعمالها وغرضه، فهل تعرف انت؟».

رد روك بعدم اكتراث:

«لكي تساعده على التنفس او شيء من هذا القبيل».

«اذكر اصرار الطبيب عليّ بالتأكد من عدم نسيان بارت مواعيد تناولها».

«من الواضح انها مهمة. ولكن، لا تغالي في القلق في اي حال لان كثيراً من الناس يعيشون على بعض انواع الحبوب في هذه الايام».

لم تجب كيم بشيء. فعاد روك يتحدث عن قضية عيد الميلاد:

«سأقيم حفلة. ومن الطبيعي ان ادعوك انت وبارت اليها. ولا انسى ان اعلمك بحفلة النادي الراقصة الكبرى، فهي دوماً متميزة وخاصة بالمناسبة. كما تقيم اسرة فان ديه فالتس سهرة شواء. ومن البديهي ان تكونا انت وبارت مدعوين. وهكذا ستشعرين بانك ما زلت في وطنك».

هزت كيم رأسها لانها انما كانت تفكر بعشاء الميلاد. لكنها بالطبع لم تكن في انكلترا. فهنا، يصادف عيد الميلاد في منتصف الصيف. وقال روك، كانه قرأ افكارها: انه سيحاول تنظيم رحلة في النهر على متن مركب حيث يمكنهم تناول الغداء، علاوة على تناولهم العشاء في منزله. فقالت:

«هذا لطف عظيم منك يا روك لم اكن اتوقعه».

فقاطعها:

«لا تنسي اني صديق بارت. ولا شك اني سأتأكد بنفسي من استمتاعكما بعيد الميلاد».

«هل لديك شجرة الميلاد؟».

«لا، ليس بعد».

«ليس بعد. . .».

وحمل صوت كيم حنيناً غريباً للوطن ترك اثراً فاعلاً في روك، فقال وهو يحاول طمأنتها وتطييب خاطرها:

«ما رأيك بان تقومي انت بتزيين الشجرة في منزلي؟».

«هل ترغب في واحدة؟ غريب. غريب امركم ايها الرجال، فانتم حافلون بالتناقضات والامزجة المتضاربة».

«لا شك ان هذا سيكون تغييراً لطيفاً عندما احيي الحفلة».

«اجل. فبارت كان يزين شجرة الميلاد دائماً».

«هل تكونان عادة في انكلترا في مثل هذا الوقت؟».

حمل صوت كيم رنة حنين غير مقصودة، لانها كانت تفكر بوطنها. فعيد الميلاد في انكلترا مناسبة راقية رغم كل ما يسبقها من هياج واندفاع في الاسواق. واما بالنسبة الى كيم ورب عملها ومدبرة منزله، فان عيد الميلاد كان فترة هادئة تفتح فيها الهدايا قبل تناول الغداء الخفيف والانطلاق في نزهة سريعة يعودون بعدها بوجوه مشرقة الى المنزل الفخم حيث تقوم الدعامات السوداء وتضطرم النيران حامية تتغذى بالحطب، فينعمون بالجو اللطيف والشجرة المزدانة بالاضواء البراقة وعصافير ابي الحن الحمراء وغزلان الرنة واشكال ستاكلوز المكسوة باثواب حمراء، هذا مع الاشارة الى ادوات واغراض الزينة الاخرى المختلفة اللامعة التي تعلقها كيم بعناية فائقة.

وفي المساء يقام عشاء يدعى اليه عدد قليل من اصدقاء بارت. فتطلق المفرقعات الغالية من كل نوع، وتعلق على الشجرة هدية لكل ضيف يفتحها قبل ان تصدح الموسيقى وتدور الاحاديث المرحة. ثم يودعون بعضهم عند الباب معربين عن ايثارهم للثلج في هذا الموسم. اجل، ان كيم لن تنسى طوال حياتها هذه الاحتفالات الخاصة بعيد الميلاد. وقطع روك عليها افكارها على حين غرة. فسألها اذا كانت ما زالت تستمتع بالنزهة. فعبست في قرارة نفسها واغتاظت لانه قطع عليها افكارها السعيدة. وعلى رغم ان تصرّفها لم يكن معقولاً لم تستطع ان تخفي الحدة في صوتها وهي تجيب:

«انا سعيدة بتغيير الهواء، اذا كان هذا ما تقصده».

«اتعنين انك لست سعيدة بصحبتي؟».

فاجابته متحدية:

«هل هناك سبب يدفعني الى ذلك؟».

قال روك بهدوء:

«ارى يا فتاتي ان اهاجم هذه الرجولة التي تظهرينها، واعيدك الى طبيعتك الانثوية واذكرك بانك امرأة».

كانت كيم ستغضب من هذا الكلام وتثور. الا انها كبتت رغبتها في الردّ عليه نظراً الى انها اعتقدت ان هذا ما اراده روك. فغيّرت موضوع الحديث وعادت الى رافيلا لتذكره بان رفيقه الشابين تطوعا ان يصطحباها في التنزه. واستطردت: «لا بدّ ان تذكر الضيافة المفروض ان تظهرها، وتعرض عليها بالتالي عرضا مشابها».

رد عليها وهو يحملق فيها بغرابة وهما يتجولان بمفردهما تحت الاشجار:

«ربما سافعل. فقد تكون هذه الفتاة مختلفة».

«انها غاية في الفتنة والجمال».

«لا شك في ذلك».

«ان الرجل الذي سيتزوجها سيفخر بها ايما فخر».

«هل تحاولين ان تدخلي فكرة الزواج في رأسي؟ انك لست الاولى في اي حال».

«ايها المغرور».

ارسل القمر المحاط بمليون نجمة اشعته لتتسرب بين اغصان الاشجار، فخلق جواً رومنطيقياً اضفت اصوات الليل والروائح المختلفة سحراً على سحره. فامتزجت زقزقة عصفور اجفلته حركة حوله بأزيز الصراصير المختلط بعواء ذئب او ثعلب يبحث عن طعامه وبإيقاع طبل بدائي غامض في الأقاصي.

سيطرت تلك اللحظة كلياً على عقل كيم التي استغربت ان تقف هنا مع روك، الرجل الذي طالما وقعت بينها وبينه مشادّات كلامية، وهو العازب الذي اقتنعت كل فتاة عرفته بتصميمه على البقاء عازباً، فلم تحاول ايّ منهن اثارة اهتمامه لعلمها بانها تهدر وقتها سدى. ونظرت اليه جانبياً، فرأت معالمه واضحة ودقيقة برغم اكتناف الظلام لها. ثم رفع روك يده مشيراً:

«يوجد مقعد هناك. فهل ترغبين بالجلوس؟».

هزت رأسها بالايجاب، وقد اثار تصرّف روك حيرتها كما حدث لبضع مرّات في الآونة الاخيرة. وبدا كأنه لا يتمالك نفسه احياناً من اظهار اللطف نحوها. فعاملها عموماً بشيء من الدعابة والسخرية التي تتحول برودة وتحفظاً غالباً ما جعلها تحسّ بعدم اكتراثه لها. وطالما حدث ذلك

عندما حضر روك لمحادثة بارت. وفي اثناء ذلك وقعت المشادات الكلامية، على حدّ وصف بارت... والآن... ما هي حقيقة مشاعرها من المؤكد انه لم يرد اطلاقاً ان يكون معها هنا في هذا الجوّ المثير والرومنطيقي. اذن، لماذا اصرّ على مغادرة قاعة الرقص؟ صحيح انه اعتبر الجو خانقاً، لكنه في مثل هذه الحالة كان بامكانه ان ينتظر انتهاء الرقص فيخرج بمفرده الى هنا.

لكن كيم استسلمت لعدم التفكير لان السكينة والروائح الزكية ونور القمر السابح في السماء الافريقية كانت حائلا بينها وبين الاضطراب والمشاكل والاسئلة العقيمة. ونصحها قلبها بالاستمتاع بما حولها لان تلك اللحظات ذكرى جميلة تحملها معها شأن الذكريات الكثيرة الاخرى التي حملتها من اماكن غريبة اخذها اليها بارت.

ثم وصلا الى المقعد. فدهشت كيم اذ رأت روك يخرج منديله لينظف الغبار عن المكان الذي ستجلس فيه. وقال:

«لا اريد ان يترك غبار المقعد اثراً على هذا الثوب الجميل».

«اشكرك يا روك».

ثم جلسا وقد لفهما الصمت وغرق كل في تفكيره. واخيراً قطع روك الصمت متحدثاً عن طلبه الى كيم بتزيين شجرة الميلاد في منزله. واستغربت كيم اصراره على التفكير بهذه الامور، واسرع نبضها لمجرد معرفة ان افكاره شملتها ايضاً. وقال:

«ساشتري الشجرة. اما في ما يخصّ الزينة، فسأترك لك حرية اختيارها. وحسب علمي تعرض في متاجر تنغافيل نخبة واسعة وانيقة من الزينات، فاذهبي واشتري كل ما تعتقدينه ضرورياً لاقامة زينة ممتازة فعلاً».

«انك تطلق لي حرية الاختيار، اليس كذلك؟ لكن ذلك قد يؤثّر فيّ يا روك، فاشتري زينة ضخمة وغالية».

«اظن ان المرأة وحدها تعرف المطلوب لهذه الامور».

«اذن، النساء افضل من الرجال في بعض الامور».

«حسناً. ها اننا قد عدنا الى المشاكسة ثانية، اليس كذلك؟ عزيزتي كيم، انك اكثر النساء اللواتي دفعني سوء طالعي الى التعرّف بهن،

مشاكسة وازعاجاً».

«اظنك استعملت هذا التعبير من قبل لوصف شخصيتي».

«واتوقع استعماله مرّات كثيرة بعد الآن».

«اذن، لا يحق لك ان تتذمّر اذا كنت ارد عليك».

لم تعرف كيم لماذا رغبت في مجادلته. والحقيقة انها شعرت بانها عملت على خلق مجابهة من دون ان تقصد.

«هل خطر لك انني قد لا ارد عليك بطريقة تسبب لك ازعاجاً كبيراً؟».

شاب التوتر صوت روك، فادارت رأسها لتنظر التشنج في ملامحه.

عندئذ ادركت انه يجب اخذ تحذيره على محمل الجد. لكنها لم تفعل، بل قالت بحدة:

«ليس بوسعي ان اتصوّر ان ردك سيسبب لي ازعاجاً كبيراً. لا شك انه يزعجني قليلا، ولكن. . .».

قاطعها فيما وثب واقفاً:

«لا يمكنك؟ لا بدّ يا فتاتي ان تكوني قد لاحظت قولي قبل بضع دقائق باني سأهاجم رجولتك المصطنعة واعيدك الى طبيعتك الانثوية».

وانتصب كالعملاق امامها، قبل ان يمسك ساعدها بيده ويوقفها معانقاً اياها بقوة. وقال بلهجة المنتصر، فيما ابصرت التواء فمه المثير في الضوء الخافت:

«واخيراً توقفت عن المقاومة، مما يعني انني حققت هدفي».

«ما هو هدفك؟».

«واعادتك الى طبيعتك الانثوية».

«باظهار قوتك ووحشيتك. اني واثقة من انك فخور بانجازك».

«حاذري يا فتاتي. فالعناق قد يكون اول الغيث، او الدرس الاول كما اسميه».

«صحيح؟».

رد بقسوة بلغت حداً لم تلاحظه كيم من قبل:

«اجل. صحيح. وكلما ازدادت الدروس تقدماً، ازدادت صعوبتها».

عقبت كيم بسخرية:

«انك تتحدث بالالغاز. والآن، ارجوك توقف عن هذا الهراء، واعدني

الى النادي. فليست لي الرغبة بمجادلتك ومقارعتك».

قاطعها وهو يضحك ضحكاً خفيفاً:

«اذن، هناك بعض التغير».

ولكن، ما لبثت القسوة ان ظهرت ثانية في صوته، الذي كان مفعماً بالصرامة قبل قليل:

«هل تصفين حديثي بالهراء، وتقولين اني اتحدث الغازاً؟ كيم، انتبهي فقد تتلقين الدرس الثاني سريعاً».

اصرت كيم على مقاومة روك، الذي شدها اليه بسهولة وقوة، فيما رنت ضحكات الانتصار التي اطلقها في الجو العابق بالشذا. ثم همس:

«استريحي، واطيعي رغباتك الانثوية فقط».

«اصمت. آه، كم اكرهك يا روك لنتون. سأخبر بارت بانك وغد لئيم».

اجاب دون ان يرهبه تهديدها:

«اظن ان هذه الحادثة الصغيرة هي آخر ما تتمنين نقله الى بارت او الى اي شخص آخر».

هزىء منها وهي تتساءل اذا كان يعرف انها تبكي، وانه على رغم مقاومتها للدموع، فانها ملأت عينيها، وبللت اهدابها وكادت تنهمر على وجنتيها الملتهبتين.

«انه يعتبرك شخصاً ممتازاً. لكني سأجعله يعرف الحقيقة المغايرة تماماً لتصوراته».

استجوبها وهو يضحك اذ رآها تشد على قبضتيها:

«هل ستقرين بانك تجاوبت مع رغباتي؟».

«لم افعل شيئاً من هذا».

خطئة. وهي عرفت انها اخطأت قبل ان تتفوه بالكلمة الاخيرة. وعرفت ان روك تحداها بهذه الطريقة ليثبت لها قدرته على دفعها الى الاستسلام.

«اذن، فانت تظنين مني تلقينك الدرس الثالث، اليس كذلك؟ والحقيقة انني لا اود ان اصفك يا كيم بالتلميذة البليدة».

«لا. ارجوك. . . ساستغيث».

ذرفت الدموع لكنه لم يلاحظ ذلك بسبب الظلمة، او لعله لاحظها ولم يتأثر بها لأن الالم لم يعرف طريقاً اليه، بل حرّضها على الصراخ:

«اصرخي باعلى صوتك. هل تظنين ان احداً سيسمعك؟ اننا بعيدون جداً عن النادي. ولن يسمع احد صياحك لطلب النجدة بسبب الموسيقى الصاخبة».

وطوقها بذراعيه بقوة. ثم همس بصوت خفيض:

«كيم. يا ساحرتي الصغيرة... اني افكر بتلقينك الدرس الرابع».

تملكها الخوف لانها ادركت حقيقة روك... وحقيقة نفسها. فقد ايقظ فيها روك مشاعر جديدة كلياً، وهي تذكر ان ريتشارد اظهر شوقاً قوياً وعفوياً مثل هذا الرجل الصلب، الذي قضى معظم حياته في العراء بين شعوب القارة السوداء البدائية، الذين تركوا فيه آثاراً واضحة من عفويتهم. وعرفت شيئاً واحداً اكيداً وهو ان سوزان ارتكبت خطأً جسيماً عندما ادّعت بان روك لتتون لم يخبر النساء. وسرعان ما قطع عليها افكارها اذ قال بلهجة الآمر وغطرسة المستبد:

«لا، لا تحاولي المقاومة او الرفض لانك تعرفين النتيجة سلفاً».

لم تجرؤ كيم على عصيان الامر، الذي وجهه اليها بغطرسة. وبينما رفعت رأسها سالت الدموع على وجنتيها. فاحس بالرطوبة تداعب وجهه، فابتعد ليلمس وجنتها ارتعشت لما انطوى عليه تصرفه من حنو ورقة:

«هل... هل تبكين؟».

تغلبت على الغصة في حلقها، وهمست بصوت لا يكاد يسمع:

«اجل».

«لماذا؟».

«هل انت بحاجة للسؤال؟».

«انت التي حرضتني يا كيم».

«ليس الى... ليس الى هذا الحد».

وساد الصمت. فتساءلت اذا كان توبيخ الضمير قد اخرسه. الا ان ابتسامة ساخرة ارتسمت على شفتيها لان روك لتتون المتعجرف لا يشعر بالندم او بتوبيخ الضمير، ولا مكان لهما في قلبه المفعم بنشوة الانتصار. واخيراً، تكلم برقة وهو يعيد كلماتها:

«ليس الى هذا الحد».

«ارجو... ارجو ان تكون فخوراً بنفسك».

سيطر عليهما الصمت ثانية، وتحكم التوتر بالجو قبل ان يقول روك بفضول:

«انك تتوقعين ان اعتذر اليك، اليس كذلك؟».

«اعرف انك لن تتنازل عن كبريائك. وستدهشني، ان انت تنازلت عن كبريائك بحيث تقدم اعتذارك».

لماذا ظل يضغط على ذراعيها؟ ثم تساءلت اذا كانت تجرؤ ان تستدير وتبتعد هاربة. ولكن لا. فهو قد يكون الآن صامتاً، الا ان تصرفاً صغيراً وبسيطاً كفيل باثارة مشاعره الجموحة ثانية. وما لبث ان قال:

«اذن، سأدهشك. انني اعتذر يا كيم. صحيح انك اثرتني، لكن هذا ليس مبرراً كافياً لسلوكي. فلو انا شددت اذنيك حتى انتزعتهما، لكان عملي مبرراً بانك تستحقين ذلك».

«هل يمكن ان نعود الآن؟».

«هل ترغبين بذلك؟ بيد ان الناس سيرون انك كنت تبكين».

ارتجفت شفتاها، وخشيت ان تسيل دموعها مجدداً:

«ارغب في الذهاب الى البيت. ارغب... فانا اشعر ببعض التوعك».

من الواضح انه لم يعر اهتماماً لجملتها الاخيرة، بل تجاهلها، وقال بانه لا يمكن ان تعود الى المنزل. واضاف:

«سيتساءل الجميع عما حدث، فيما يشعر بارت بقلق عظيم لا لزوم له».

«ماذا يمكنني ان افعل اذن؟».

ماذا جرى لها؟ صحيح ان هذا الشعور بالشفافية قد يكون نتيجة حادث عنيف وان ايقاظ مشاعرها قد اجهدها قدر ما اجهدتها مقاومتها الجسدية لروك. الا ان كيم شعرت بانها كانت تتوق الى شيء مجهول.

«جففي دموعك اولا قبل ان نسير قليلا. وسرعان ما ستشعرين بانك استعدت صفاء نفسك».

قالت متهكمة:

«انك لطيف للغاية».

«هل تحملين منديلاً؟».

«كلا، لا احمل منديلا. انه في حقيبتي المسائية التي تركتها...».
«اذن، سنستعمل منديلي».
اخرج روك منديله. وفتحه. ثم ثنى المنديل وقدمه اليها لتجفف عينيها ووجنتيها.
وقال:
«هل تشعرين بالتحسن؟».
«قليلا. ان تجفيف عيني لن يغيّر شعوري».
«لا يا كيم. فانا آسف يا حبيبتي. هيا لنسر قليلا».
سارا مسافة قصيرة مبتعدين عن النادي قليلا. الا ان كيم اعربت عن رغبتها بالعودة الى النادي قبل ان تطول المسافة.
«سيستغرق منا الوصول الى النادي بضع دقائق تكفي لان تعيدني الى حالتي الطبيعية».
«سنعود اذا كنت واثقة يا كيم مما تقولين».
هل ندم؟ لقد قالت في نفسها انه لا يشعر بتوبيخ الضمير، وعلى رغم ذلك اعتذر اليها. لكنها لم تعلّق اهمية على اعتذاره. لكنه اظهر الاعتذار في سلوكه بالتأكيد. وسواء كان نادماً ام لا، فان ذنبه لن يغفر. فهي ستكرهه طالما بقيت حية.

٥ - الحمى والمستقبل

ولدى عودة كيم وروك الى النادي، توجها فوراً الى المنضدة الطويلة المزينة بالازهار، والتي صفت اطباق العشاء الخفيف عليها. ونظرت كيم حولها خلسة لتراقب امارات الفضول التي قد تلتمع في عيون الناس. واطمأنت اذ لا ترى شيئاً من ذلك. وقال لها روك مبتسماً وقد لاحظ انها تنظر من حولها:
«انك على ما يرام يا كيم، ولا اثر للدموع في عينيك».
واتجهت رافيلا نحوهما لتشبك ذراعها بذراع روك، الذي سرعان ما تخلص منها مبتعداً عنها. ولم تحفل رافيلا من تصرفه، وقالت:
«ما هذا العشاء اللذيذ؟ هل يمكنني تناول عشائي معك يا روك؟».
اجاب روك مشدداً على كلمته الأخيرة:
«يمكنك ان تجلسي معنا».
تطلعت الفتاة حولها وهي تسأل:
«معكم...؟ من معك؟».
«كيم. والارجح ان السيد ناش سينضم الينا».
تجاوزت رافيلا ببصرها كتفي روك العريضتين، فلمحت كيم تقف على مسافة قصيرة منها قرب الطاولة وهي تحمل طبقاً لم تضع فيه شيئاً. وتجاهل روك رافيلا واقترب من كيم التي قالت بتشنج؟
«لا اشعر بالجوع، لذا اعذرني لاني ارغب في الجلوس هناك. بامكانك اصطحاب رافيلا».
لقد طغت الوقاحة على نبرة صوتها. وعرفت هي ذلك اذ آلمها رأسها

كثيراً واحست وهناً في ساقيها. اما روك، فركز بصره على رافيلا التي ملأت صحنها وتحدثت الى الشاب الواقف بجانبها، قبل ان يهمس متسائلاً:

«لا ارغب ابداً بالجلوس مع رافيلا. ولكن، لماذا لا تشعرين بالجوع يا كيم؟ من المؤكد انك تغلبت على مشكلتك، اليس كذلك؟».

حانت منها التفاتة دهشة نحوه، وقالت:

«من المحتمل ان تكون قد تغلبت على المشكلة انت. اما انا، فأشعر بالتعب والارهاق».

بادلها النظرات وهو يقر عابساً:

«من المؤكد انك خجلة».

قطع صوت رافيلا الرنان على روك حديثه:

«لم تضع اشياء كثيرة على طبقك يا روك. الست جائعاً؟».

لم تتأكد كيم من احساسها بأن روك احدث قرقعة شديدة بلسانه قبل ان يجيب رافيلا بلطف:

«لا اشعر بجوع شديد. لكني سأتناول شطيرة او شطيرتين من تلك الموضوعة على طرف الطاولة الآخر».

ووصل بارت اليهم من دون ان يلاحظ قدومه اي من روك او كيم.

«ها؟ انتما هنا. هل خرجتما في نزهة؟ لم استطع ان اعثر عليكما عندما بحثت عنكما».

اوضح روك من دون انفعال كثير:

«خرجنا لنتنشق بعض الهواء الطلق».

هز بارت رأسه بطريقة محيرة اربكت كيم وخيل اليها في الوقت نفسه انه سر كثيراً بأمر معين تجهله. وقال:

«فهمت. علي ان اعترف بأن تصرفكما حكيم، فالجو في قاعة الرقص اصبح خانقاً للغاية».

وسألت رافيلا كيم وهي تنظر اليها بعبوس:

«هل خرجتما الى حدائق النادي؟ كم اتمنى لو ان احداً عرض علي ان يصطحبني الى الخارج فقد شعرت بحر وانزعاج بالغين».

قال بارت بلطف:

«انا متأكد ان جون كان يود ان يصطحبك في نزهة. فهو لم يرفع عينيه

عنك طوال السهرة. لكني لاحظت انك لا تشجعينه. عليك ان تشجعيه يا عزيزتي، فأنا واثق من لطفه ورصانته. وبامكانك ان تجعليه موضع ثقتك».

وعلى الاثر تبادلت كيم وروك النظرات في ما بدا انها تقول له في سرها: «انتبه. من الممكن ان يكون جون موضع ثقة». وبدا هو كمن يجيب: «حسناً. حسناً. لقد سمعت ما قاله بارت».

امر غريب. فكرت كيم. لقد شعرت بذلك دوماً. ما بالهما، وهما العاقلان، يتبادلان الشكوك والتهم؟

عندئذ استدارت كيم مبتعدة عن الطاولة، فسألها بارت بقلق:

«ما بالك يا عزيزتي؟ لماذا لا تتناولين شيئاً؟».

عضت كيم شفتها. واستدارت نحو بارت ثانية لانها لا تريد ان تزعجه:

«الحقيقة اني لست جائعة. الا اني سأتناول شطيرة».

فرماها روك بنظرة غامضة بينما قال بارت:

«فتاة رائعة. روك، اين سنجلس؟ آه، ارى هناك طاولة تتسع لثلاثة اشخاص. اجلب لي معك شطيرة بينما اذهب نحو الطاولة واحجزها».

وابتعد قبل ان يتمكن اي من روك او كيم ان يتكلم. اما رافيلا، التي اضاءت عيناها دهشة، فادارت ظهرها لروك وكيم وبدأت تتحدث مع احدهم، بينما قدم روك طبق الشطائر الى كيم وهو يعبس، ثم اخذ حاجته.

وقال لهما بارت عندما انضما اليه:

«سننعم هنا ببعض الهدوء. يا للسماء، ما هذا الازدحام الرهيب الليلة؟».

هز روك رأسه:

«لم يحضر الى النادي حتى الآن جمهور كبير مثل هذا الا في عيد الميلاد حين نقيم مهرجان رقص كبير».

ونظر بارت الى كيم التي تساءلت اذا كانت تبدو عليها ملامح المحنة التي عرضها عليها روك، الرجل الذي يقدره بارت كثيراً. الا انها رأت في عينيه المسمرتين على روك ابتسامة قد لا تعني شيئاً لأي شخص سواها. فهي

تعكس لها الرضى التام عن أمر ما. خصوصاً عندما يسهل عليه التأليف والكتابة او حينما يقول بعد انتهائه من كتابة فصل جيد: «لقد طابق هذا الخطة تماماً يا كيم. واظن انه من افضل الفصول التي وضعتها».

«يا الهي، ما هذا الازدحام؟».

قطع حبل افكار كيم. فاستدارت صوب روك الذي سألها:

«هل ترغبين بشاي ام قهوة؟».

«شاي، من فضلك».

اعتذر، وذهب لاحضار شيء يشربونه. اما كيم، فسمعت صوت رافيلا على مقربة منها:

«يا لهذا الزحام. لقد اعتادت سوزان ان تصف مكان اقامتها بانه هادىء في رسائلها لي».

ثم سمعت كيم جون، الذي رافق رافيلا، يقول:

«من المؤكد ان المكان مزدحم جداً. ولكن، اين سنجلس؟».

شعرت كيم بالذنب وقد رأت رافيلا وجون يقفان بقربها وهما يفتشان عن طاولة. واشاحت رافيلا ببصرها بعيداً عندما انتبهت لنظرة كيم، التي همست لبارت:

«أبدت رافيلا رغبة بالجلوس معنا. فهل نستطيع ان نوسع لها ولجون مكاناً؟».

وذهلت كيم لرؤية العبوس يعلو وجه بارت برغم موافقته على نقل كرسيه فيما جذبت هي انتباه جون واعلمته ان هناك متسعاً لهما على طاولتها شرط ان يحضر كرسيين. فقال:

«شكراً جزيلاً».

ثم وضع صحن الطعام بدون تردد، وانطلق يبحث عن كرسيين. وفي اقل من دقيقتين عاد يحمل الكرسيين. وما ان جلست رافيلا حتى بدت كأنها نسيت ما لقيت من ازدراء من قبل روك، وعادت اليها ابتسامها واشراقها المعهودان. ولما رجع روك حاملاً صينية صغيرة عليها ثلاثة فناجين، تطلعت اليه رافيلا فرحة، فسألها اذا رغبت ببعض الشراب. فأجابت وهي تنظر الى الفناجين التي نقلها من الصينية الى الطاولة:

«اجل يا روك. ارجو ان تحضر لي بعض القهوة».

ثم سأل روك جون:

«اما انت يا جون، فماذا ستشرب؟».

«شاي، من فضلك».

احضر روك الشاي والقهوة، ثم جلس. فابتسمت له رافيلا بابتسامة ساحرة كشفت عن اسنانها الخالية من العيوب والتشوهات، وعن طرف لسانها القرنفلي الصغير. وبعد قليل اعلنت:

«ان هذه الفطائر لذيذة. فهل تفضلت يا روك باحضار واحدة لي قبل ان تختفي جميعاً؟».

عرض جون خدماته مخلصاً:

«سوف اذهب انا. هل تكفي واحدة؟».

هزت رافيلا كتفيها بكياسة:

«لا بأس باثنتين. فهي صغيرة».

ثم نظرت من تحت اهدابها الشديدة الطول الى روك الذي كان في الوقت الحاضر على الأقل منيعاً امام مفاتنها. غير ان كيم تساءلت كم ستطول هذه الحال. واعتبرت انه من الممتع مراقبة رافيلا ورؤية مدى نجاحها في مهاجمة روك. ثم فكرت كيم بالمشهد الذي جرى مؤخراً ومثلت هي فيه دور الفريق الرافض، واعربت عن اقتناعها بان رافيلا كانت ستتمتع بكل دقيقة فيه. ثم تطلعت الى روك متذكرة قول سوزان انه اذا وقع في هوى فتاة، فانه سيقاومها بكل قوته. فهل كان روك يقاوم رافيلا؟

هنا قطع بارت عليها افكارها:

«لم تتناولي شيئاً حتى الآن يا عزيزتي كيم».

استطاعت كيم ان تبتسم لبارت رغم ان آلام رأسها ازدادت سوءاً فيما اشتد وهنها، واحست بالعرق يتصبب منها والحر يلفحها والضعف في ذراعيها. واجابته وهي تتناول الشطيرة وتقضم منها لقمة صغيرة:

«ألم اقل لك بأني لست جائعة».

ركز روك انتباهه على كيم. فلاحظت القلق في عينيه. وكم تمنت ان ترمقه بنظرة لا مبالية، لكنها تمالكت نفسها بسبب تعبها وعدم رغبتها بتذكيره بسلوكه المشين في حدائق النادي. وكل ما تاقت اليه هو دخول سريرها والاستلقاء بين ملاءاته الباردة والتخلص من المها بالنوم. فسألها

روك، وهو يلاحظ ان فنجانها قد فرغ:

«هل احضر لك فنجاناً اخر؟».

«اجل، ارغب بفنجان آخر من فضلك يا روك».

«وانت يا بارت؟».

«كلا، اشكرك».

لم يذق جون الشاي. اما فنجان رافيلا، ففرغ تقريباً. وقالت لروك قبل ان يتمكن من التفوه بكلمة:

«لا احب مزيداً من القهوة يا روك».

ثم اضافت وهي تهز شعرها الفتان بحيث تمايل فوق كتفيها قبل ان يستقر ثانية:

«سأطلب منك ان تشتري لي كأس شراب عند البار في ما بعد».

لم يحاول روك ان يجيبها بل مضى لاحضار الشاي لكيم. اما بارت، فحدق الى رافيلا وقد ظهر العبوس في عينيه. وتأكدت كيم انه كان يتساءل اذا استطاعت الفتاة الجميلة اختراق دفاعات روك ام لا. وكان واضحاً ان بارت لن يسر بأي نجاح تحرزه رافيلا. غير ان كيم لم تفهم السبب، فافتتان روك بهذا الجمال النادر لن يؤثر على بارت في اي حال. وعاد روك، فتحدثت اليه رافيلا من دون انقطاع متجاهلة الاشخاص الثلاثة الآخرين على الطاولة. لكن انزعاج روك منها ظهر واضحاً برغم انشداده اليها في الوقت نفسه. وظنت كيم ان رافيلا تحاول الايقاع به مستعملة يديها وعينيها وخبرتها بتمايل شعرها واهتزازه على نحو ايقاعي منتظم. وسمحت كيم لنفسها ان تأمل من دون حقد ان يجد روك لتون البغيض نفسه غير قادر على مقاومة رافيلا في نهاية المطاف... هل تمنت ذلك فعلاً؟ ركز روك نظره على كيم التي عضت شفتها اذ احست بشفافيتها امام هذا الرجل الذكي. ولو انها في حالتها الطبيعية، لخيبت آماله باحدى نظراتها المليئة بالكبرياء. لكنها اكتفت بان استدارت ملتقطة انفاسها اذ اصابت رأسها نوبة الم اشد من السابق. وبعد قليل سأل بارت:

«هل انتهينا جميعاً؟ اذا كان كذلك، فلعله من الأفضل ان نخلي اماكننا ونعطي الفرصة للآخرين بالجلوس».

وقف الكثيرون بعد ان تناولوا العشاء الخفيف، وقد حملوا الاطباق

منتظرين غيرهم ان يخلوا الطاولات.

ونهضت كيم وصاحبتها قاصدتين قاعة الرقص حيث وجدتا طاولة شاغرة. وطلب روك من رافيلا ان تراقصه. ثم قال بتهذيب وهو ينهض عن مقعده:

«نرجو المعذرة».

اجاب بارت وكيم معاً:

«لا داعي للاعتذار».

لاحظت كيم ان بارت قطب جبينه. وما ان ترك جون الطاولة حتى قال:

«لا تعجبني هذه الفتاة. انها لا تعجبني ابداً».

اطرقت كيم بذهول. واحست الجفاف في حلقها، والكآبة تنتابها. واعتبرت ذلك نتيجة الحالة التي هي فيها. ولكن لا... كان عليها ان تعترف. فكآبتها ناتجة عن مجرد التفكير بأن روك وشريكته الشقراء قد يعشقان بعضهما. وبعد هنيهة سأل بارت:

«هل نرقص يا كيم؟».

حاولت الظهور بمظهر المتحمس فيما اجابت:

«اجل. فهم يعزفون لحناً نحبه».

فنهضا. وسرعان ما تضايقت كيم من الحر. فقد كان الجو خانقاً بفضل انتشار ضباب ازرق رقيق امتد من البار الى القاعة الكبيرة حيث اشعل الناس سكائرهم.

عندما رافقت كيم بارت للمرة الأولى في زيارة الى بلد حار، اخبرها انه من الممكن تحمل الحر واشعة الشمس. وقد وجدت ذلك صحيحاً. اما الآن، فشعرت بكراهية لحر افريقيا، الذي امتص بقية قوتها ونشاطها، وتركها منهكة. وخيل اليها ان جسمها ينهار تحت ثقل عظيم. لذا اختل توازنها مرات عدة مما جعل بارت يدرك اخر الأمر انها ليست على ما يرام فحدق في وجهها، الذي علته الحمرة بعينين مليئتين بالقلق:

«هل انت بخير يا كيم؟».

وأجاب هو على سؤله بالقول:

«كلا، لست بخير».

«عندما كنت انا وروك في الخارج قبل العشاء امتقع لونك قليلاً».

«والآن تشعرين بالشيء نفسه ثانية، اليس كذلك؟».

ثم اضاف وهو يمسك يدها:

«سنخرج من هنا».

طبيعي ان كيم فضلت العودة الى المنزل. لكنها ترددت في الاشارة الى ذلك لعدم تأكدها اذا كانت ستزعج بارت ام لا بقطع سهرته خصوصاً وانها عرفت انه استمتع بالوقت اذ تحادث الى عدد من الرجال المتقدمين في السن، الذين صادفهم. كما شعرت كيم ان اصرارها على العودة الى المنزل امر غاية في الانانية. ولم يبد انها غير قادرة على الاحتمال، بل الحقيقة انها شعرت بتحسن بسيط فور خروجها الى الهواء الطلق. ولما طمأنت كيم بارت، الذي سألها عن حالها، عبر عن ارتياحه البالغ بفرح:

«حمداً لله على ذلك. فانا مسرور لأني لم ارك طريحة الفراش».

تنشقت كيم بعمق مرات عدة حتى امتلأت رئتاها بالهواء النقي الذي هب من الجبال باتجاه المرج. وقالت:

«لله ما اشد برودة الهواء ونقاوته».

وبعد عشر دقائق من جلوسهما على الشرفة، اعلن بارت:

«اظن ان علينا العودة الى البيت».

«ولكن...».

«هناك شيء يؤكد لي انه من الأفضل لزوم الفراش. وكما ترين يا كيم، فأنا اظن ان حالك اسوأ مما تدعين. لا، ارجو الا تقاطعيني. فمعرفتي بك تؤكد لي انك لا ترغبين في افساد سعادتي باعرابك عن رغبتك في العودة الى المنزل».

لم تجب كيم بأي كلمة، بل اطرقت من دون قصد فيما مضى بارت يؤكد انه سيطلب من سوزان ان تحضر عباءة كيم من غرفة تبديل الملابس وانه سيتمنى للجميع ليلة سعيدة بالنيابة عنها. وعاد بعد قليل ليقول:

«لم اتمكن من تمني ليلة سعيدة لروك. فهو ما زال يراقص هذه... رافيلا. ولم استطع ان اتجاوز كل الراقصين لأصل اليه. واظن ان احداً سيخبرهم بمغادرتنا».

لم تنتبه كيم الى انها نسيت حقيبتها المسائية في النادي الا بعد ان وصلا

البيت. وكادت تبكي وهي تقول لبارت:

«لست اعرف كيف نسيت حقيبتي بعد ان تركتها على الكرسي لتناول العشاء».

لكن الحقيقة انها كانت تعرف. فقد صبت جل اهتمامها على روك وعلى احتمال اختراق رافيلا لدفاعاته المنيعة حتى ذلك الوقت. ومن ثم راقبتهما يرقصان، حيث بدا كل منهما غاية في الروعة، وشكلا معاً صورة للكمال. فتركزت ابصار الجميع عليهما، ولم تجد صعوبة في معرفة افكار الناس. اما بارت، فأكد لها ملاطفاً:

«لا تخشي شيئاً على حقيبتك، فمن المؤكد ان احداً سيعثر عليها ويعيدها».

«حسناً...».

وارتعشت شفتاها وهي تفترض ان حالتها المرضية تؤثر سلباً على تفكيرها. الا انه لم يكن هنالك ما يبعث السرور في نفسها اكثر من ان يردها بارت الى النادي. لكنه عوض ذلك ادخلها الى السرير. وظنت انها سمعته يتمتم بينه وبين نفسه عندما غادر غرفتها بعد ان قال لها وملامح وجهه تزداد حدة وبريق عينيه يخف لمعاناً:

«هل ستنامين الآن؟».

«اجل يا بارت، سأنام. لا داعي للقلق، فسأكون على ما يرام غداً صباحاً».

«آمل ذلك يا عزيزتي كيم. آمل ذلك».

ثبت لها ان تفاؤلها لم يكن بالحقيقة سوى تمن، اذ استيقظت لتجد نفسها مريضة وقد اخترق الألم عظامها، وبلل العرق وجهها وعنقها. واحدثت الاوجاع اضطرابات في معدتها. عندئذ حاولت السير، فاكتشفت ان حلقها جاف وصلب. ولكن لحسن حظها، استيقظ بارت باكراً، وحضر اولاً الى غرفة نومها للاطمئنان عليها. لمس جبهتها آلياً:

«انك مريضة للغاية... ماذا ينبغي ان افعل؟ هل استدعي الطبيب... ام اتصل بالمستشفى... ام اطلب روك... روك... روك؟ هذا هو الحل».

ثم انطلق مسرعاً ينزع عباءته عن كتفيه قبل ان يبلغ الباب. وسرعان ما

سمعته يدير محرك السيارة ولأول مرة تخلى بارت عن حرصه اثناء القيادة.

وحين رجع بارت، كانت كيم قد غفت. بيد ان فتح باب السيارة ايقظها. ثم دخل روك غرفتها ودثرها بكل اغطية السرير. واعترضت:

«لست بحاجة الى كل هذه الأغطية، لأني اشعر بحر شديد».

وكادت ترمي الأغطية عنها لولا ان روك منعها قبل ان يقول لبارت، الذي تحرك في مؤخر الغرفة، بصوت خشن ونبرة الحاح:

«ابق مع كيم، وامنعها من ان تطرح الأغطية عنها حتى استدعي الطبيب».

وتمكنت كيم ان تسأله:

«هل اصبت بالانفلونزا».

فرد روك باقتضاب:

«كلا. انك مصابة بالحمى. وآمل الا تكون حالك خطيرة».

علق بارت بارتياح:

«اليست حالها خطيرة؟ هذا خبر سار يا روك».

«لكن الحمى ستزعجها كثيراً طوال مدة المرض».

وبينما خرج روك، حضر بارت وجلس قرب السرير. فنظرت اليه كيم، ورغم حالة الجمود والبلادة التي اصابتها، تبينت مرة اخرى بروز معالم وجهه. فتملكتها كآبة لظنها انه يهرم بسرعة. واجهشت بالبكاء لأن حقيبتها المسائية شغلت حيزاً كبيراً من تفكيرها. وصاحت:

«لقد اضعت حقيبتي. لماذا نسيتها؟».

«اصمتي يا كيم العزيزة. فلا خطر يتهدد الحقيبة. سأخرج بعد قليل لاحضرها».

واخذت ترتجف بعنف رغم غزارة العرق المتصبب عنها والتهاب رأسها نتيجة الحرارة.

«ضاعت. . . اجل، لقد ضاعت. هل يمكن ان اتناول جرعة ماء يا بارت؟».

«بالطبع».

فذهب واحضر الماء. ثم ساعدها على رفع رأسها لتشرب الماء. وفي اقل من ساعة عاد روك ليقول:

«سيحضر الطبيب قبل الغداء بقليل. فهو الآن في تنغافيل يعتني بشخصين اخرين اصابتهما الحمى».

فسأل بارت:

«هل هنا خطر من انتشار وباء؟».

اجاب روك بانه لا يعتقد ذلك. ثم نظر الى كيم، ورأى آثار الدموع على وجنتيها اذ عادت الى البكاء ثانية. ولما رأى بارت عبوس روك، اوضح الأمر:

«ان كيم تبكي لانها نسيت حقيبتها المسائية في النادي الليلة الماضية، ودخل في روعها انها لن تراها مرة ثانية».

فسألها روك:

«اين تركتها يا كيم؟».

«على المقعد، حيث تناولنا العشاء».

وشعرت كيم ان النطق اصبح عبئاً عليها، وان صوتها ارتجف وهي تضيف:

«لقد ضاعت، انا اعرف انها ضاعت».

وعدها روك وهو يتجاهل كلماتها الأخيرة:

«سأذهب الى النادي واحضرها عندما ازور المدينة بعد ظهر اليوم».

فعلق بارت ممتناً:

«اشكرك. فقد وعدت كيم بان اذهب انا واحضرها. وها انت تريحني من هذا العناء ما دمت ستذهب الى المدينة».

ثم نظر الى كيم وقد استلقت على السرير فيما التمعت حبات العرق على وجهها:

«وعلاوة على ذلك، فانا لا اريد ان اتركها مع علمي انها ستكون بخير بينما تعتني بها الخادمة».

وحضر الطبيب، فقاس حرارة كيم قبل ان تسمعه يقول لبارت:

«من الواجب ادخالها الى المستشفى. لكن نقلها الآن لا يفيد».

فهز بارت رأسه وسأله:

«هل مستحقنها؟».

عندئذ ادارت كيم رأسها لترى الطبيب يعد المصل وهو يقول:

«طبعاً».

وتحدث بارت بصوت متهدج اظهر اضطرابه الشديد:

«بدا روك واثقاً من ان الحمى التي اصابت كيم ليست خطيرة».

وافق الطبيب وهو يدنو من السرير:

«ليست خطيرة كما تتصور. لكن صديقتنا الشابة ستعيش فترة اضطراب وانزعاج في الأيام القليلة المقبلة».

وادخل الطبيب الابرة فيما اخبر بارت انه يجب تدفئة كيم. ثم اضاف مؤكداً:

«هذا ضروري لأنها ستحاول طرح الاغطية عنها. ولا بد من ثنيها عن ذلك».

وبعد الظهر احضر روك حقيبة كيم المسائية.

وتساوت لدى كيم اهمية العثور على الحقيبة مع اهمية الادعاء بفقدانها، فكالت لروك شكراً ومديحاً فاق حدود التصور. اصغى روك الى اطرائها بصبر واهتمام ليقول لها في نهاية المطاف انه لم يكن هناك سبب لكل ذلك، كما طلب اليها ان تستكين وتستريح. ثم قال لبارت:

«انها تتعب نفسها كثيراً».

أجاب بارت بصوت ينم عن القلق:

«لم اتصور ان اراها في مثل هذا الحال. فهي لم تعرف المرض كما ترى».

«ليست الحمى خطيرة يا بارت. فأنا نفسي قلت ذلك، قبل ان يؤكد الطبيب قولي».

«أجل، فأنا اعرف ذلك. لكن كيم تتعذب، وهذا ما يؤلمني».

سمعت كيم ما دار بينهما من حديث برغم انها رقدت في شبه سبات وتذكرت ان بارت يعتبرها مثل ابنته. فتساءلت عما يدور في رأسه من افكار تتعلق بمستقبلها عندما يتقاعد من تلقائه. وكانت تعرف يقيناً انه لن يكتفي باعلامها بالقول: «حسناً يا كيم، لقد قررت التقاعد، ولذا انصحك بالبحث عن وظيفة اخرى».

ولكن، ماذا عساها تفعل، اذا هي لم تبحث عن وظيفة اخرى؟ وفجأة، احست بثقل عظيم يضغط على تفكيرها وجسمها. فلم تعد قادرة على التنفس. واغرورقت عيناها بالدمع. فاستدارت لتحجب نفسها عن نظر

الرجلين الواقفين بجانبها. لكن حركتها هذه جاءت متأخرة، فسألها بارت بصوت متهدج جعلها تظن انه كان يبكي:

«عزيزتي كيم، ماذا دهاك؟ لماذا تبكين؟».

اجابت وهي لا تستطيع التفكير بما انتابها من خدر ونعاس:

«اذا تقاعدت... فلست... لست اد... لست ادري ما... ماذا افعل».

سأل بارت:

«هل هي تهذي؟».

«كلا. انها لا تهذي البتة. فأمر مستقبلها يشغل تفكيرها».

كانت كلمات روك قاسية وجارحة، فازداد جري الدمع من مقلتي كيم التي تساءلت بحيرة لماذا تؤذيها نبرة روك، ولماذا استعمل مثل هذه النبرة في اي حال. ثم سمعت بارت يقول:

«دعنا ننتقل الى الحجرة المجاورة. وسأرسل الخادمة لتجلس مع كيم بعض الوقت».

ثم سمعت كيم باب غرفة النوم يغلق وراء الرجلين. وما هي الا دقائق حتى غفت وهي تفكر ان لدى بارت امراً بالغ الأهمية يريد اطلاع روك عليه من دون ان ينوي السماح لكيم بالتنصت على ما سيقوله.

٦ - اعتراف وعرض

اضطرمت الحمى لثلاثة ايام. واصر بارت ان يجلس بنفسه الى جانب كيم مما اثار استياء روك الشديد بعد ان تكاثرت زياراته لمسكن كاتانيا. وسمعته كيم ذات مرة يقول لبارت آمراً:

«عليك ان تستريح بعض الشيء».

وكانت كيم قد استيقظت للحال. ولم يلاحظ الرجلان ذلك لشدة نعاسها، فتحدثا بحرية دون ان يدريا انها استوعبت كل ما قالاه.

«اذا كان ذلك يريحك، فسأجلس لمراقبتها بنفسي».

«وماذا عن وقتك يا روك؟ لعلني ساعتمد على الخادمة بصورة اكبر».

رد روك بصوت مرتفع:

«نبرة صوتك تكشف مدى قلقك. اذهب الى فراشك، وسأبقى معها طوال بعد الظهر».

ولما خرج بارت، استدارت كيم نازعة عنها البطانيات. فدثرها بها من جديد وادخلها تحت الفراش بحيث منعتها من التحرك. فاعترضت متذمرة:

«اني اشعر بحر شديد، ومن الأفضل ان تنزع عني احدى البطانيات».

سألها روك متجاهلاً طلبها:

«كيف تشعرين الآن؟».

«اني افضل على ما اظن».

«اخبرني الطبيب قبل قليل ان حرارتك عادت طبيعية».

«هل رأيته؟».

«كان في طريقه الى الخارج عندما وصلت. واؤكد لك انك ستشعرين غداً انك عدت الى حالتك الطبيعية. فالخطر الداهم قد زال».

«هل تعني اني لن ارتجف ؟».

«هذا صحيح».

ثم ركز عينيه الحادتين على وجهها متفحصاً. وظنت انها تبدو مخيفة بسبب شحوب وجهها. فسألته:

«هل تصورت ذلك، ام انك فعلاً، زرتني غير مرة كل يوم؟».

استغربت كيم قلة ارتباكها، اذ لا بد ان يذكر روك مشهد لقائها في حديقة النادي، وان يذكر كيف اجبرها على الاستسلام لمهارته. اما كيم، فوجدت المشهد جزءاً من الماضي البعيد، وان الوقت الغى كل سبب للارتباك والاحراج. ولم يعد المشهد مهماً لا بالنسبة اليها ولا بالنسبة الى روك. وبعد شفائها سيعودان الى حيث كانا، اي الى التشاحن فيستعمل كل منهما اقسى وسائل بلاغته لاحباط الآخر.

وهنا اجاب روك على سؤالها:

«انك لم تتصوري ذلك».

«هكذا اذن؟».

كرر كلماتها مبتسماً:

«هكذا اذن».

تنهدت كيم بحزن اذ لا بد انه رآها في اسوأ حالاتها نتيجة زياراته المنتظمة. وما لم تفكر فيه هو الاحتمال انها هذت، فاعطت روك بذلك تلميحات عن حياتها الماضية، الحياة التي عاشتها قبل ان تعرف بارت. ثم قالت مرتعشة:

«لطف كبير منك ان تهتم بي وببارت الى هذا الحد. وانا لا اشعر باني استحق كرمك هذا».

جفل روك وهو يذكرها بنبرة قاسية:

«لم اكن لطيفاً معك ذات مرة».

«آه اظنني سعيت وراء ذلك بنفسي الى حد ما».

طمأنها بلهجة مرحة:

«انك لن تتحدثي بهذه الطريقة يا عزيزتي عندما تستردين عافيتك».

تابعت حديثها بتعب متجاهلة ملاحظته:

«لم اكن في اغلب الأحيان لطيفة معك، بل كنت متعبة ومزعجة، اليس كذلك؟».

ابتسم روك لهذا السؤال، الذي نطقت به كيم بصوت الاطفال ونبرة مرتعشة توسلا لرد سلبي. واجابها بلطف واضح جعلها تشك بانها ستلقى رداً مختلفاً حتى ولو كانت في حالتها الطبيعية.

«لا تفكري بهذا يا كيم. فالخطأ لم يكن خطاك وحدك بكل تأكيد».

«وكان خطاي في بادىء الأمر عندما تعديت على حدود ارضك. ولو اني كنت مهذبة واعترفت بذنبي، لما تصرفت تجاهي بعنف وطردتني بالتالي».

ما كان من روك الا ان ابتسم متنهداً:

«واخشى ان يكون مرضك قد قضى على مرحك. وانا لست سعيداً بهذا التغير».

«عليّ الاعتراف باني اشعر بالضعف».

وعلى الفور تعجبت من عفوية اعترافها الذي بدا كأنه تعبير عن عدم رغبتها في مجادلته بعد الآن. واجاب روك بحزم:

«انك ضعيفة، وضعيفة جداً. ولعلك ستظلين كذلك لبعض الوقت. فتصبحين بالتالي خانعة وسكوتة. والحمى دوماً تنهك الانسان وتتركه في حال انقباض. فما عليك الا ان تقاوميها يا كيم».

«سأحاول الا اسمح للكآبة بالتحكم بي».

«آمل ذلك. لا تسمحي باعطاء توافه الأمور اهمية زائدة».

اشتد نعاسها، وتصارعتها الرغبة بين النوم ومتابعة الحديث مع روك. فقالت:

«لا افهم ما ترمي اليه يا روك».

«ان آثار بعض الأمراض تتمثل في ان المريض يرى الأشياء بصورة مختلفة عما لو كان في حالته الطبيعية».

«انك بالطبع تتحدث عن قاعدة عامة».

«طبعاً. فانا لا اقول ان منظارك للأمور اختلف. ولكن ذلك قد يحدث».

«فهمت».

صمتت كيم لحظة وهي تدرك ان افكارها جالت في كل الأمور على رغم تعبها.

«ربما بدأت ارى الاشياء بمنظار مختلف وخاطىء. اقصد... بارت. فانا قلقة عليه للغاية كما ترى».

ثم سكتت كيم بعد ان تحولت ملامح روك فجأة الى قناع ثابت وكأن لا علاقة له ببارت. وظنت كيم انه يبحث عن الكلمات. يبحث... تجربة جديدة بالنسبة اليه، خصوصاً وانه كان يرد بسرعة على كل ما تقوله. واخيراً قال بلهجة غريبة اشبه بلهجة المرشد المعلم:

«اشعر انه ليس هناك سبب لقلقك بشأن تقاعد بارت. فمن الطبيعي ان يتقاعد رجل يشعر انه لا يستطيع مجاراة متطلبات عمله».

«اجل افهم ذلك».

«وانت تعرفين انه الف عدداً كبيراً من الكتب الممتازة».

«تسعة وعشرون كتاباً».

«واذن، فهذا كتابه الثلاثون. وهذا عظيم جداً».

«وانا اظن ذلك ايضاً. وكما ترى، فانها كلها كتب ممتازة».

ومع ان كيم حاولت كبت رغبتها بالتثاؤب، فإن النعاس غلبها وتثاءبت. ولاحظ روك ذلك فصمت. لقد ارادت ان تنام وكان ذلك ضرورياً لأنها منهكة ولا تقدر على متابعة الحديث. ثم ادارت وجهها الى الوسادة واغمضت عينيها وهي تشعر ان نظرات روك مسمرة عليها. فاحست بحافز يدفعها الى ان تغطي رأسها بالبطانيات على رغم العرق المتصبب من كل مسام جلدها. ثم تنهدت بارتياح دون ان تقول اكثر من:

«ارغب ببعض النوم».

ولما استيقظت وجدت بارت قد حل محل روك على الكرسي بجانب الخزانة الموضوعة قرب السرير. ورأته يمسك صفحة من مخطوطته ليجري عليها بعض التعديلات بالقلم. ولاحظت ارتجاف يده اثناء القراءة. وانتابتها الحيرة عندما فكرت ان تغييراً مفاجئاً سيطرأ على حياتها دون ان تتمكن من تصور شكل ذلك التغيير. وفي اي حال، منعها ضعفها الشديد من محاولة التركيز. ثم ابتسم لها بارت:

«هل استيقظت يا عزيزتي؟».

ذهلت اذ رأت الرضى الشديد والفرح في ابتسامته. ثم قالت وهي تفترض على نحو بديهي ان الفصل الذي يكتبه يسير على ما يرام:

«هل تسير امور الكتاب كما تشتهي؟».

«لم افعل شيئاً كثيراً من الكتاب. ولكن، كيف تشعرين الآن يا كيم؟».

«افضل بكثير. وقد قال لي روك ان الخطر الداهم قد زال».

«هذا صحيح. فانت تتحسنين بسرعة. ولكن، سينقضي اسبوع قبل ان تتعافي على نحو تام».

عبست كيم وهي تجيب:

«من المؤكد اني لن ابقى في الفراش طوال هذه المدة».

«سوف نرى ماذا يفيدنا الطبيب بهذا الخصوص غداً. من الجائز ان يسمح لك بالنهوض لمدة ساعة او نحوها».

وفي المساء حضر روك وجلس مع كيم، التي دهشت لانصراف بارت بعد وصول روك بدقائق. ولم تفهم كيم سبب كراهيتها المفاجئة لبقائها وحيدة مع روك، الذي ازعجها قبل ان تمرض، والذي شعرت بوجوده قربها اثناء مرضها على رغم انها كانت في شبه غيبوبة نصف الوقت على الأقل. صحيح انها تحدثت الى روك من قبل وانه بدا متحرراً في احاديثه معها. اما الآن، فثمة لديها شعور بنشوء علاقة حميمة بينهما بدا لها - مع صفاء ذهنها - انها تنطوي على خطر لم تعرف له سبباً طوال حياتها. وقال روك بلطف وهو ينظر اليها بحنو لم تره في عينيه من قبل:

«انك تبدين افضل بكثير».

«اشعر بتحسن كبير. ولذا سأسأل الطبيب غداً اذا كان بامكاني النهوض لبضع ساعات».

ابتسم روك لها مداعباً:

«ارجح يا عزيزتي انك بعد نصف ساعة سترغبين بالخلود الى النوم مجدداً».

عزيزتي... نظرت اليه، وهي تشعر برعشة وارتباك من موقفه. متى كان الاعجاب والتقدير الهادئان من سمات عينيه الرماديتين الصلبتين كالفولاذ؟ ولماذا غابت مسحة التهكم التي طغت على صوته؟ واين اصبح

ازدراؤه للنساء؟

من المؤكد انه لم يظهر شيئاً من هذا كله في تلك اللحظة. بل على العكس رأت في عينه شيئاً اشبه بالاعجاب. وتلعثمت في جوابها كردة فعل على تصرفه غير المنتظر وكلماته غير المتوقعة:

«انت... هل انت واثق انني سأتعب... سأتعب في غضون نصف ساعة؟».

عزيزتي. كلمة لا تعني شيئاً بحد ذاتها. ولكن عندما تأتلف مع تعابير وجهه ونبرة صوته تصبح لها معان كثيرة.

وتخلصت كيم فوراً من الفكرة المذهلة التي خطرت لها قائلة في نفسها انه لو كان روك سيحبها، فمن المؤكد ان ذلك لم يكن ليحدث اثناء مرضها حين بدت مثل دمية مهترئة. وقال روك:

«اجل، انا واثق جداً انك ستتعبين في غضون نصف ساعة».

«هل اصابتك الحمى من قبل يا روك؟».

هز روك رأسه:

«لقد اصبت بها فعلاً».

وعلمت كيم من حديثه ان حالته كانت اخطر بكثير من حالها.

«انها مزعجة للغاية، اليس كذلك؟».

لقد تحدثت رغبة في الحديث، بينما ظل تفكيرها مشغولاً بتعابير وجهه البشوشة ونبرة صوته اللطيفة. انه لتغير مهم. صحيح انه اظهر لطفاً ووداً تجاهها اثناء المرض، لكن تصرفه فاق حدود اللطف الآن. ووافقها:

«انها مزعجة. وبامكاني ان اتعاطف معك يا كيم».

وابتسم روك على حين غرة، فزالت القسوة عن قسماته. واسترجعت كيم بعض الذكريات فتذكرت تسارع نبضها مرات عدة بسبب سلوك روك، وكيف ازعجها ذات مرة اثناء جلوسهما في المقهى. كما استعادت احاسيسها عندما راقص رافيلا، وكآبتها حين رأته يبتسم للفتاة. واخيراً خطر لها حديثهما في حديقة النادي حيث ايقظ روك فيها مشاعر جديدة ومثيرة. وقطع عليها صوته الهادئ المتسم بلهجة الأمر وردها الى حاضرها:

«بماذا تفكرين يا كيم؟».

تبدل لون وجهها، وهزت رأسها وهي تهمس:
«لا استطيع ان اخبرك لأن افكاري خاصة بي».
ظهر في عينيه الرماديتين بريق يوحي بانه فهم الأمر. ثم قال:
«انه امر يتعلق بي وبك لان عينيك مليئتان بالذكريات».
ردت كيم على روك الذي هز رأسه:
«من الجائز ان تكون ذكريات الماضي ابعد».
«لم تفكري بالماضي البعيد يا عزيزتي لأن هذا الماضي قد ولى، ولا يمكن ان ترجع اليك صوره جلية لأن الزمان يمحوه. . .».
قاطعته كيم، وقد حفظت بفرح كلمته «عزيزتي» من جهة، وانتبهت من جهة اخرى الى انها هذت في اوج مرضها:
«روك. انك تعلم كل شيء عن والدي وخطيبي، اليس كذلك؟».
«اجل يا كيم. وليس بارت هو الذي اخبرني، بل انت نفسك».
«هل اكثرت من الهذيان في بداية مرضي؟».
«اجل».
واشرق وجهه حنواً ورقة ولطفاً.
«لا شك انك عانيت كثيراً. والآن افهم معنى تلك النظرة المرعبة ذات مرة».
شهقت كيم وهي تطرق:
«عادت الذكرى اليّ بوضوح تام رغم أقوالك التي تؤكد عكس ذلك».
«غير ان الذكرى غابت على الفور».
نبهت هذه الجملة كيم الى ذكاء روك الذي عاد الى سؤاله السابق:
«اصدقيني القول. الم تفكري فيّ؟».
هزت رأسها فيما حولت ناظريها عنه. وبعد ان انتصبت جالسة في سريرها، تراجعت تدريجياً حتى استلقت على ظهرها كلياً. ثم اجابت روك وهي تدرك تماماً ان اقوالها تشكل مدخلاً الى امر بالغ الأهمية:
«بلى».
علق بشيء من تهكمه المرح، الذي عرفته جيداً:
«فكرت فيّ. . . في خصوماتنا».

اجابته وهي ما زالت تتحاشى النظر الى عينيه:
«كلا، ليس هذا صحيحاً».
تنبهت لاحساسها المتزايد بوجوده الى جانبها، والى حماسة ناتجة عن هذا الاحساس، والى امل خلق فيها التوتر والدهشة.
«ماذا اذن؟».
وهنا، نهض فيما اضاف قائلاً وذلك دون ان يمكنها من الاجابة:
«هل تريدين الجلوس؟».
«اجل. ارجوك ساعدني».
فاقترب منها. ورفعها وهو يسندها بذراعه، بينما رتب الوسادات:
«هيا. . . فبامكانك ان تتكئي الآن».
«شكراً».
«لا شك انك كنت تفكرين بالأوقات الجميلة».
لقد اراد بصدق ان يعرف. وجلس مسمراً عينيه على وجهها الخجل، وتفحصه ببرودة ودقة دون ابتسام. وخفق قلبها لأهمية سؤاله ومحتواه.
وقالت وهي تنظر الى عينيه الرماديتين بثقة:
«اجل يا روك. لقد فكرت بالأوقات الحلوة».
«لم تطل ايامنا الجميلة. لكني اعدك يا عزيزتي ان تزداد من الآن فصاعداً».
وصمت لحظة قصيرة قبل ان يضيف:
«كيم، هل تتزوجيني؟».
نطقت بصعوبة وعدم تصديق رغم ان قلبها خفق بالسعادة:
«اتزوجك. . . لست. . . لست ادري ما. . . ماذا اقول».
لماذا اجهشت بالبكاء؟ لا بد انه الضعف وآثار الحمى.
«فقط قولي يا حبيبتي انك ستصبحين زوجتي».
«اجل. اني. . . اني افهمك».
عقد روك حاجبيه:
«يا لك من فتاة رومنطيقية. لكنك، في اي حال، لم تتعافي كلياً. فاذا لم احصل منك على جواب مفرح برفع معنوياتي عندما تقولين انك تعبدينني، فان الخطأ يكون خطأي انا».

كان يهزأ بها على رغم رصانته ورقته البالغة. ثم اضاف:

«هيا يا صغيرتي الى النوم ثانية. فانت بحاجة للرقاد بعد هذه المحادثة.

ثم ازاح وسادتين، فاستلقت طوعاً وهي تحدق الى عينيه وقد ارتسمت على ثغرها ابتسامة مرتعشة. وكان حياؤها ما زال ظاهراً. الا انها نطقت ببعض كلمات وهي تتعجب من نبرة صوتها:

«هل قلت اني احبك؟».

«كلا يا حبيبتي. غير اني استنتجت ذلك».

فما كان منها الا ان سألت:

«كيف استنتجت ذلك؟».

«انك تحبينني؟ حسناً. كانت هنالك مؤشرات عدة ليس اقلها تصفيف شعرك».

برز العبوس على وجهها الى جانب الحيرة، ورددت قائلة:

«تصفيف شعري؟».

«هل تذكرين انك اردت قص شعرك حتى يصبح قصيراً جداً؟».

علت وجهها حمرة جذابة وهي تجيب انها تذكر.

«وقلت انت انك تراه جذاباً للغاية كما كان طويلاً».

«وهكذا قررت الا تقصيه».

واضطرت الى تصحيح ادعائه المعبر عن رضى عميق بالقول انها قصت جزءاً يسيراً منه. وما لبثت ان ضحكت من حماقتها بينما عقد روك حاجبيه موبخاً ومنبهاً اياها الى ضرورة تعديل سلوكها والا...

«ان اي دليل على سعيك وراء مجادلة بيننا يؤدي الى ان يصفعك زوجك تأديباً على هذا الازعاج».

انسلت كيم داخل الفراش قليلاً، وقد خجلت من هزيمتها. وشدت الغطاء اليها وهي تقول:

«اذا كنت تنوي ان تكون زوجاً طاغية مستبداً...».

قاطعها روك بمرح بالغ:

«هذا بالضبط ما انوي فعله. هل تنوين تغيير رأيك بشأن الزواج مني؟».

ضحكت كيم رغم تعبها، واجابت وهي تتظاهر بالوداعة:

«كلا يا روك. لا اريد تغيير رأيي».

«اذن، فانت مستعدة لاطاعة اوامري؟ هذا افضل. دعينا نبدأ الآن. فالضوء سيطفأ حتى تنامي. نامي جيداً يا عزيزتي، وسأعود اليك في الصباح».

ولما وصل روك الى باب الغرفة، نادته كيم حتى يرجع وقد نسيت كل شيء يتعلق ببارت. وافترضت ان ذلك عائد الى الحماسة والتعب، الذي انهكها تدريجياً. وقالت:

«روك، لا استطيع ان اتزوجك الآن... ليس قبل ان يتقاعد بارت. فقد اقسمت الا اتركه حتى يقول هو لي بنفسه انه لم يعد بحاجة الي ابداً. واشعر انه سيتقاعد عما قريب. عسى الا يزعجك الانتظار القليل».

«حسناً. لقد تحدثت الى بارت وهو عازم ان يتقاعد فور الانتهاء من تأليف الكتاب الحالي».

«فهمت... لقد تحدثت انت وبارت عني وناقشتما احتمال... زواجنا».

وتذكرت كيم انطباعها يوم دعا بارت روك الى غرفة مجاورة. يومئذ استنتجت ان بارت اراد ان يقول لروك شيئاً بالغ الأهمية، شيئاً لم يرد ان تسمعه كيم. وازداد عبوسها اذ ضرب انطباعها هذا على وتر غير متناغم مع وضعها. وكان بامكانها تمييزه عن باقي الأوتار. ثم اجابها روك بصوت ملأته البرودة، وكأنه يمنعها من طرح اسئلة اخرى عليه:

«ان تعبيرك غريب. فانا وبارت تحدثنا معاً. واخبرني عن عزمه على التقاعد فيما اطلعته انا بدوري على رغبتي بالزواج منك».

وتوقف لحظة لم تستطع ان تتحدث خلالها:

«والآن، يا حبيبتي، اريدك ان تنامي. هل تفهمين؟».

وزال عبوسها مع انها ظلت تشعر ببعض القلق. وابتسمت وهي تجيبه:

«حسناً يا روك، سأكون مطيعة وانام فوراً».

ثم اطرقت. وكان ذلك كل شيء. ثم سمعت كيم الباب يغلق باقل ضجة ممكنة. فانقلبت على جنبها وهي تحاول ان تطرد الشكوك التي دخلت رأسها. ان رغبتها بالزواج من روك حقيقة لا تقبل الجدل والنقاش... ولكن، لماذا تمادى قلقها؟ لقد كان اشبه بخطأ مذهل يصعب التعرف

عليه. واخيراً تنهدت:
«يا الهي. لا شك ان السبب هو مرضي. ولسوف اهذي من الفرح متى تعافيت».
واطبقت جفونها على التفاؤل. ثم رقدت في نوم هادىء مريح.

٧- ترتيبات العرس

انتشر خبر الخطوبة بسرعة، وتوالت التهاني. ولكن الدهشة غلبت الناس لان روك كان عازباً مكرّساً. وقالت لها سوزان بمكر واضح:
«اعرف ان قولي ليس من قبيل المجاملة. ولكنك تدركين اني لا اقصد شراً، فانا لست ادري كيف نجحت في اصطياده!».
«طبعاً، انا افهمك».
اغتمت كيم للأذى الذي اصاب سوزان، وعبّرت عن حزنها بصوت منخفض ينم عن بعض الاعتذار:
«انا نفسي لست اعرف كيف حدث ذلك».
«الم يكن ذلك اثناء مرضك؟».
«بلى. هذا صحيح».
التقت كيم بسوزان عند متجر البسة حيث اشترت الاخيرة بزة وبلوزة تناسبها. واحست كيم بارتباك اذ تنازعتها رغبة بالاعتذار والانصراف بسرعة، وامنية بالبقاء مع سوزان، التي احبتها كثيراً.
«هل ترغبين بفنجان شاي؟ بامكاننا ان نقضي ساعة او نحوها في المقهى».
«موافقة».
وعبرت الفتاتان الشارع الذي ظللته اشجار النخيل، باتجاه المقهى.
وما ان جلستا ووجهتا طلبها، حتى سألت سوزان:
«متى سيتم الزفاف؟».
«روك يرغب باقامة العرس قريباً».

«قبل عيد الميلاد؟».

«اجل خلال اسبوعين».

حدقت سوزان الى كيم متفحصة وجهها وعينيها وشعرها الجميل وهي تتنهد فيما ارتعش ثغرها. ثم قالت وهي تصطنع ضحكة خفيفة وشجاعة عرفت كيم انها اخفت وراءها الماً اعتصر قلب صديقتها:

«يا الهي. انه في عجلة من امره. ظلّ عازباً دهراً. وعلى حين غفلة وقع في شرك الحب. وها اننا لن نراه يقاوم كما كنا نفترض».

عضت كيم شفتها وقد تنبهت للعراقيل التي تقطع عليها طريق السعادة. وهي لم تقتصر على قلب سوزان، بل شملت الشكوك التي غالباً ما تساور كيم نفسها. وخطرت لها ايام هيامها بريتشارد. فتذكرت السعادة التي غمرت كل لحظة عاشاها معاً، وتسارع خفقان قلبها كلما ابلغها انه سيسهر في منزل والديها، وضيقها ذرعاً بانتظار يوم العرس. الا ان العرس افزعها هذه المرّة بدون ان تعرف لذلك سبباً. صحيح انها احبت روك، وسعدت بقربه، لكنها شعرت بانها مخدوعة، وانها لم تنل ما تتمناه اي فتاة مخطوبة. ولم تساورها تلك الشكوك، وتطرح ظلالها القاتمة على درب سعادتها، الا عندما يكون روك بعيداً عنها.

واحضر الشاي، فيما تكلمت الفتاتان على العرس ورافيلا وعيد الميلاد. وكان حديثهما ممتعاً بغالبيته. لكنهما شعرتا بارتباك تجاه بعضهما. واخيراً نظرت سوزان الى ساعتها، وقالت:

«عليّ ان اذهب الآن حتى انظّف اقفاص الدجاج استعداداً لاستلام بعض الفراخ الجديدة».

«اليس الصبية مسؤولين عن هذه الاعمال؟».

«احياناً. الا اني بدأت اتعاطى تربية الدجاج منذ بعض الوقت، الامر الذي يكسبني نصف الارباح. وهو يقول ان عليّ ان افتح حساب توفير لي. . . .».

وانقطعت عن الكلام فجأة. لكنها سرعان ما تنبهت الى الامر، فاضافت:

«لعرسي ذات يوم».

خفضت كيم بصرها، ولم تنبس ببنت شفة. ثم احضرت النادلة

الفاتورة. وما لبثت الفتاتان ان خرجتا لتسيرا تحت السماء الافريقية الزرقاء الصافية. وفي ظلال اشجار البهار التي امتدت على طول الشارع وقفت سيارات عديدة استطاعت كيم ان تميّز منها سيارة الاخوين ستاين اللذين عملا في زراعة الاخشاب مثل روك، وان على مستوى اقلّ. ونتيجة تحفظهما، نادراً ما زارا النادي، او شاركا في النشاطات الترفيهية المعدة لمزارعي هذا الجزء النائي من اقليم ترانسفال واستغربت كيم تقاعسهما عن المشاركة في الحياة الاجتماعية وهما لا يزالان شابين دون الثلاثين من العمر. وفيما وقفت كيم وسوزان، وصل احد الشقيقين الى السيارة، وفتح بابها. وقبل ان يصعد الى مقعده، نظر عبر الشارع ورأى الفتاتين، فرفع يده لتحيتهما. فقالت سوزان وقد تجهمت قليلاً:

«لا يختلف تصميم هذين الاخوين في البقاء عازبين عن تصميم روك السابق. ولست ادري أيهما، جاك او كليف، اصعب مسايرة ومعاشرة».

«هذا كليف، اليس كذلك؟».

«صحيح. ولعله اشدّ وسامة من شقيقه».

وافترقت سوزان وكيم فاتجهت سوزان الى سيارتها، في حين قصدت كيم المتجر لان بارت كان قد طلب اليها ان تشتري بعض الدفاتر وادوات الكتابة الاخرى من محلات القرطاسية. ولشد ما دهشت كيم اذ التقت رافيلا وهي خارجة من احد الحوانيت. فحيتها:

«مرحباً. هل رأيت سوزان؟».

«اعرف انها في المدينة. لكني حضرت مع جاك وكليف ستاين».

لم تستطع كيم اخفاء استغرابها، وقالت:

«لقد فعلتها؟ انك محظوظة جداً».

ردت رافيلا ببرودة:

«لا اظن ذلك، لاني ذهبت الى منزلهما وسألتهما اذا كانا ينويان زيارة المدينة. فردا بالايجاب، وعبرا عن سعادتهما باصطحابي».

«كان بامكانك ان تحضري مع سوزان».

اكفهر وجه الفتاة بينما تفحصت وجه كيم بدقة:

«لم اكن انوي المجيء، غير اني شعرت بالملل بعد خروج سوزان. هل صحيح ما سمعته عن خطوبتك من روك لنتون؟».

خفضت كيم رأسها فيما اجابت باقتضاب:
«اجل».
وهنا تذكرت كيم ان رافيلا وجدت روك مثيراً ومغرياً، وكان عليها ان تعرف انه كذلك.
«اقرّ باني دفعت الى الظن بانه لم يتسع وقته للنساء، مع اني كنت اوقن ان العكس صحيح. فهذا النوع لا بد ان يقع في نهاية المطاف».
عبست كيم في وجهها، وذكرتها بعدم لباقتها بهدوء وهي تقول باختصار:
«آسفة. ولكن، اعذريني لان علي شراء بعض الحاجيات لرب عملي».
هزت رافيلا كتفيها الأنيقتين:
«اظنك ستحضرين الحفلة الراقصة ليلة السبت؟».
«اغلب الظن».
«الى اللقاء اذن».
واستدارت رافيلا مبتعدة وهي تلوّح بشعرها الرائع دون انتظار جواب.
كان بارت منشغلا عندما عادت كيم وأعطته ادوات القرطاسية. ولم تلاحظ تغيّراً في مظهره المتعب وسكونه وهو يتكيء على الوسائد. لكنه كان يكتب وقد بدا عليه الاهتمام بعمله.
واخيراً رفع نظره، فتطلع الى الحزمة التي القتها كيم على الطاولة، وابتسم ببطء للفتاة التي عضت شفتها السفلى ثم قال:
«اشكرك».
ثم سألته والقلق يكتنفها:
«اتظن ان عليك انجاز هذا الكتاب؟ هل من الضروري فعلا ان تنفذ التزامك؟».
اجابها وقد تنهد في نهاية حديثه:
«لم اعط وعداً بانجازه، اذا كان هذا ما تقصدينه. ولكن هذا لا يؤثر عليّ لان الانتهاء من وضع الكتاب يملأني بالرضى. وهو في ايّ حال كتابي الاخير».
«ماذا ستفعل بعد ذلك يا بارت؟».
«سأعود الى منزلي في انكلترا واعيش حياة رجل ريفي. شريف في

مزرعته».
ارتسمت امام مخيلة كيم صورة منزله، فاخذت تتأملها. انه منزل فخم قديم سقف بالقش، وانتشرت فيه دعامات السنديان الاسود، وانبسطت من حوله اراض تبلغ مساحتها سبعة فدادين. وتحيط بأحد جانبيها ساقية يصاد فيها سمك التروت. ومن جانبه الآخر غياض كثيفة. ثم ابتسمت لبارت:
«سنزورك انا وروك».
«ستكون بادرة لطيفة جداً».
واشاح بنظره بعيداً، فتطلعت كيم اليه وهي تتساءل اذا كانت حركته مجرد حركة آلية، ام حركة يقصد بها اخفاء ملامح وجهه عنها. فسألته باضطراب:
«هل انت مريض يا بارت؟».
التفت اليها وقد ارتسمت البسمة على وجهه فوراً:
«مريض. لا بالطبع. لست مريضاً. صحيح اني متعب ومستعد لأخذ قسط كبير من الراحة، لكني لست مريضاً. . .».
وصمت وهو يهز كتفيه هزة خفيفة.
«لو عرفت انك مريض، وانك تحتاجني، لأخّرت زواجي بكل تأكيد».
فرفع بارت حاجبيه قليلا:
«صحيح؟ ما الذي يجعلك تظنين ان باستطاعتك استغلال مشاعر روك؟ انه يا بنيتي رجل لا يطيع أهواء المرأة».
اجابته وهي متجهمة:
«لن استغل مشاعر روك بهذه الطريقة، بل سيكون تصرفي عملياً ومن وحي المنطق. اما في ما خص جملتك الثانية، فقد بدوت لي مثل روك تماماً».
«مستبداً، يرفض المراء، أليس كذلك؟».
وضحك، فاجتاحت كيم موجة ارتياح لانه كان اشبه ببارت الذي عرفته مدة ثمانية اعوام. وقالت:
«لم تخبرني يا بارت لماذا تستعمل الحبوب التي تتناولها؟».
رفع القلم عن الطاولة حيث وضعه بجانب كوعه بينما اجاب بشيء من

اللامبالاة:
«انها مسكّنات عامة ليس الّا».
ثم اضاف باللهجة عينها:
«اشعر بتحسن عندما اتناولها».
فاستدارت نحو المطبخ وقالت:
«سأصنع الشاي».
منذ بدأت كيم العمل مع بارت، وهي تصنع شاي ما بعد الظهر دون ان تعترض مدبرة المنزل على ذلك. وكان بارت يتوق الى هذه الاستراحة لما يتخللها من احاديث حميمة بينهما. ولم تفكر الا في مثل هذه الاوقات ان بارت يعتبرها ابنته اكثر منها موظفته.

وبعد عشر دقائق، جلس بارت وكيم على المصطبة يتناولان الشاي في ظلال العرائش. وبعيداً، خارج الحديقة، اهتز المرج انزعاجاً من اشعة الشمس اللاذعة. ومعروف ان الحرارة تصل الى اقصى مداها في هذه الفترة من السنة. وقد قال روك انهم يتصببون عرقاً او يكاد يغشى عليهم في يوم عيد الميلاد حين تبلغ الحرارة ٤٥ درجة مئوية او يزيد. وعاد بارت، فبدأ الحديث بسؤاله:
«هل تظنين ان روك سيزورنا الليلة؟».
«اتوقع ذلك».
واسترجعت كيم شعورها بالحماسة والارتعاش الذي انتابها عندما كان خطيبها السابق يزورها. وتنهدت تحسراً على ما كان مفقوداً في علاقتها الجديدة دون ان تستطيع تحديد ما ينقصها بالضبط. وكل ما عرفته انها لم تشعر برهبة الانتظار، وان روك كان قادماً. وهذا كل شيء. لم تحس بخفقات قلبها تزداد، ولم تحلم بنزهة في الحديقة تحت ضوء القمر...
وتنهدت ثانية قبل ان يشحب وجهها رعباً اذ ادركت ان بارت سمع تنهيدتها ونظر متفهماً. فرشفت الشاي بدون ان تتفوه بكلمة. وابدى بارت ملاحظة فيها بعض القلق:
«ما بالك يا عزيزتي لا تبدين سعيدة؟».
ابتسمت ابتسامة خفيفة وقالت من غير تفكير:
«كلانا قلق على الآخر، اليس كذلك؟».

«لا استطيع ان ارى مبرراً لقلقك عليّ يا كيم».
وضعت كيم فنجانها على الصحن:
«لست في حالتك الطبيعية هذه الايام. وانت تدرك ذلك».
«انني متعب يا عزيزتي. الم اقل هذا تكراراً في الاسابيع الماضية؟ المرء في عمري يتعب بسرعة، ويغدو العمل بالنسبة اليه مهمة شاقة».
علقت ببعض الحزن:
«لم اظن يوماً ان العمل سيتحوّل عبئاً عليك».
وتطلّع بارت الى طبق المعجنات، وانتقى كعكة ارز:
«الظاهر انك نسيت كم يبلغ عمري. وكما لا بد انك تعرفين، فانا سأبلغ الحادية والسبعين في غضون شهرين».
لقد نسيت، لانه بدا شاباً في تصرفاته وقوة احتماله ونشاطه المنقطع النظير. لكنه كان عليها ان تعرف انه ليس شاباً بعد ان طرأ عليه هذا التغيير اخيراً.
ثم ابتسمت له ابتسامة اعجاب وهي تقول:
«اذن، فانت تستحق الراحة والتقاعد فعلا. ومن واجبي ان اعترف اني لم افكر بعمرك عندما خشيت ان تتقاعد».
«والآن، هل اقنعتك باني لست مريضاً، بل متعب فقط؟».
قص بارت الكعكة، وتناول قطعة منها. ثم علّق:
«رائع. لعله بامكاننا ان نتحدث عن عرسك. فروك يؤكد لي انه لن ينتظر طويلا، وانا اتفق معه اذ لا ارى انّ هنالك شيئاً يرتجى من التأجيل».
وتأمّل معالم وجهها الحلوة، وارتعاشة فمها، والزرقة العميقة في عينيها.
ثم اضاف وقد اشرقت عيناه الرماديتان الفاتحتان:
«وانا واثق ايضاً انه ليست لديه رغبة في الانتظار».
بلعت كيم ريقها بصعوبة، وهي عاجزة عن التغاضي مدة اطول عن شعورها:
«لا... لا، اظن الا...».
تجهّم وجه بارت وقال:
«منذ قليل قلت ان السعادة لا تملأك يا كيم. فهل انت واثقة من حبك لروك؟».

فردّت بعفوية وقد اضاءت عيناها فجأة:
«اجل. طبعاً انا احبه، والا لما كنت سأتزوجه، اليس كذلك؟».
تابع حديثه مسمّراً عينيه على وجهها:
«اذن، ماذا دهاك؟ من المفترض ان تطيري فرحاً. لكنك لا تفعلين».
فاطلقت تنهيدة قوية:
«لست ادري. ربما كان السبب هو عدم رغبتي في التخلي عنك».
طمأنها بارت ووعدها مؤكداً:
«سأكون على ما يرام. والمهم هو انت، في الوقت الحاضر. وانا اتمنى بالحاح من كل قلبي ان اراكِ تستقرين. . .».
قطع كلامه بسرعة وقد غاظه ان ينطق بما فكر فيه، وليس بما كان يريد قوله. اما كيم، فعرفت بعد ان تنبهت اعصابها ذلك الشعور بامر غريب يقطع عليها درب السعادة. واخيراً قالت:
«وقولك هذا غريب يا بارت».
وسمّرت عيناها على وجهه، فلمحت فيه الاضطراب والندم على ما قاله.
وعندما تحدث مجدداً، اتضحت رغبته في العودة عما قال:
«انها زلة لسان يا عزيزتي، فقد تحدثت عن شيء فيما كنت افكر بآخر».
«امر آخر؟».
«اجل. الكتاب. فعلي تضمينه اكثر من فصل واحد عن الحشرات».
سددت كيم اليه نظرة متفحصة. ولم تفاجأ عندما رأته يخفض عينيه ويعبث بفتات الكعك في طبقه.
اتمنى من كل قلبي وبالحاح. . . تساءلت كيم اذا كانت لم تحمل العبارة اكثر من مضمونها. وتذكرت قول روك بان عليها التأكد من الاشياء التي تعتبرها مهمة، ليست في الحقيقة مهمة. وقد حذرها روك ايضاً بان الآثار التي تتركها بعض الامراض تتمثل في رؤية المريض للأمور بمنظار خاطىء. هل فعلت هي الشيء نفسه؟ وهل كان انقباضها ناجماً عن مرضها؟ لقد انهكتها الحمى كما اخبرها روك، الذي حثها على مقاومة الانقباض والكآبة. وادركت انها لم تسع لمقاومة الكآبة التي عصفت بها خصوصاً عند ذكر قصة زواجها.

ورمقت بارت بنظرة استغراب، وقد ارتسمت امامها مجدداً كلمات «اتمنى من كل قلبي وبالحاح». هناك شكوك اخرى اضطرب بارت نتيجة تعبيره عنها. لكنها اقرت، بعد ان فهمت وضعها على نحو افضل، انها حملت القضية محمل الجد اكثر مما تستحق. فرفعت فنجانها ورشفت الشاي مصممة على مقاومة الكآبة وهي تأمل بالنجاح.
وصل روك لتناول شراب الغروب، وقد ارتدى سترة قمحية اللون وسروالاً ذا خطوط زرقاء. وبدا نموذجاً لكمال الرجولة. فامتلأ قلب كيم سعادة لرغبته بالزواج منها. كم كانت محظوظة. انه موضع اعجاب وتقدير عظيمين، والفتيات في تنغانيقا وحولها يطاردنه. وكانت وحدها الفتاة التي اخترقت حصنه، ووقع اخيراً في شرك هواها. كان الامر اشبه بمعجزة، اذا كان هنالك من معجزة. وكانت اولى كلماته وهو يحتل مقعداً مقابلاً لها:
«يبدو انك رجعت الى حالتك الطبيعية يا حبيبتي».
كانت تقرأ جزءاً من مخطوطة بارت، الذي دخل ليستحم، وليرتدي ملابس تتسم بالرسمية اكثر من بنطاله القديم وسترته القطنية. فاطرقت مبتسمة:
«اظنني عدت الى حالتي الطبيعية تقريباً».
«اما زلت ضعيفة؟».
امال رأسه وهو يجيب على سؤاله بنفسه:
«انه عارض من عوارض الحمى. لقد قلت انك ستشعرين بالضعف لبعض الوقت، اليس كذلك؟».
«اجل. لقد كنت مصيباً. لكنني اشعر بالضعف احياناً فقط، وهو لا يؤثر الا على رجليّ في اغلب الاحيان».
«سنتزوج عما قريب. وسأتمكن عندئذ من الاعتناء بك على نحو جيد. لقد تحدثت الى بارت عن الكتاب، واتفقنا ان تحضري اليه كل يوم لتعملي معه حتى ينجزه. فهل يرضيك ذلك؟».
«اجل. فانا لا يسعني ان اتركه».
«لم افترض انك ستفعلين ذلك يا كيم».
ثم ابتسم لها، وقال بلهجة المستبدّ دون ان يهتم لاي ازعاج قد يسببه لها:

«ارى الشوق مكتوباً على صفحة وجهك وفي عينيك الجميلتين يا حبيبتي. ولا بد ان امتلكك فوراً. لقد قلت لك اني لن استطيع الانتظار، الا اني لاحظت انك اعرضت عن تحديد موعد عرسنا بمناورات بارعة. اما الآن، فاريد ان اعرف في هذه اللحظة».

بادلت ابتسامته بابتسامة مرتعشة اذ زالت من رأسها كل الشكوك وشعرت برغبة البقاء معه وحده. واخبرته بمرح رغم ترددها وحيائها الظاهرين:

«ساكون مستعدة عندما تريدني. لقد سبق ان قلت... قبل... قبل عيد الميلاد».

«فعلاً، انا اريد ان يتمّ الامر قبل عيد الميلاد بكل تأكيد. هل توجد في مدينة تنغافيل خيّاطة يمكنها ان تساعدنا في تحقيق ذلك بان تسرع في خياطة فستان العرس لك؟».

«اجل. هنالك خيّاطة من النوع الذي تطلب».

«اذهبي اليها صباح غد اذن...».

وتوقف روك عن الكلام ليسمع قحة بارت العالية وهو يفتح الباب ويدخل الغرفة. فوجه حديثه اليه:

«مرحباً يا بارت، كيف حالك؟».

«املأ الكؤوس بشراب الغروب».

ولاحظ بارت الحمرة التي علت وجه كيم، وحركة اصابعها العصبية. فحول بصره الى روك، ورأى نقيض ذلك فيه. فقد وقف خطيب كيم على بعد منها ببرودة وتهذيب، وبدا وهو الافريكاني الرشيق مهيباً بملامحه البرونزية وثقته التي قاربت الغرور. ورأت كيم بارت يعبس ويحاول القضاء على غصة في حلقه. وفوجئت اذ لمحت في وجهه بعض القلق وكأنه يقول في نفسه: «هل ستكون فتاتي الصغيرة بخير مع مثل هذا الرجل؟».

وخرج الجميع الى الشرفة حيث احضرت سايدي الشراب. وسايدي فتاة افريقية انتقلت الى خدمة بارت مع انتقال المنزل اليه. ولشدة نظافتها وكفايتها، لم يرد اصحاب المنزل الاستغناء عنها واكدوا لبارت انه لن يستطيع استئجار المنزل اذا لم يستخدم سايدي، وهي فتاة مرحة دائماً والابتسامة تنعكس على نبرة صوتها الفتانة عندما تقول:

«اجل يا سيدي».

ولمّا وضعت الصينية على الطاولة، قال لها بارت بلطف:

«اشكرك يا سايدي».

«سيد لنتون... هل تفضلت بالبقاء للعشاء؟».

لم ينو روك ان يتناول سوى شراب الغروب. لكنه قبل بفرح دعوة بارت الى العشاء وقال:

«ربما تلطفت وارسلت خادمك الى مسكن لوساكا ليبلغ خادمي انني لن احضر الى العشاء».

اجاب بارت بلطف:

«طبعاً يا روك. سارسله الى هناك فوراً. سايدي، من فضلك ابعثي نغورجي اليّ».

حضر الصبي على الفور، فابلغ بالخبر الذي كان سينقله الى خادم روك. وسعدت كيم ببقاء روك. فاستأذنت بعد قليل ودخلت لتبدّل ملابسها. فارتدت تنورة كتان بلون المرجان زيّن خصرها بمخرّمات، وبلوزة كتان ناصعة البياض فتح اعلاها ليكشف عن سلسلة ذهبية انيقة تدلت منها مدلاة. وبرزت اصابع رجليها من بين سيور صندلها الابيض القليلة. وانتشت نتيجة دهن نفسها بقليل من العطر، الذي كان روك قد ابدى ملاحظة بشأنه في النادي ذات ليلة.

«ما هو نوع عطرك؟».

«غاي».

عقد روك حاجبيه، وفاجأها بحسن معلوماته عن العطور اذ قال:

«أهذا هو العطر المعروف بانه اثمن عطور العالم؟».

«هذا صحيح. بارت هو الذي اشترى العطر لي. ولشدّ ما دهشت اذ عثرت عليه في احد متاجر تنغافيل».

«وانا ايضاً تملكتني الدهشة. ولكن المرء لا يستطيع ان يتنبأ بانواع البضائع الموجودة في مدينتنا. فغالباً ما نجد اشياء تدهشنا».

«ما الذي جعلك تعرف انه اغلى العطور في العالم؟».

«اظنني قرأت ذلك في مكان ما... والارجح في مجلة نسائية».

«لا يمكنني ان اتصوّرك تقرأ مجلات نسائية زاهية الالوان».

«يمسك الرجال احدى هذه المجلات احياناً ليروا ماذا تحب النساء».

تذكرت كيم انه في وقت من الاوقات بدت لهجة روك جارحة عندما يتحدث عن النساء. وتساءلت اذا كان لا يزال يعتبر مكان المرأة الطبيعي في البيت، وعند المغسلة تحديداً كما قالت ليندا. لكنها قالت لنفسها وهي تنظر الى المرآة مرّة اخيرة قبل ان تخرج لملاقاة الرجلين اللذين جلسا يرشفان شراب الغروب، ان روك لم يعد يفكر كذلك لان الحب يغيّر الرجل، ولا شك انه احدث في روك تغييراً جذرياً.

تسمّرت عينا روك المعجبتان على كيم وهي تجلس وتأخذ الشراب، الذي قدمه اليها بارت. وقال مبتسماً:

«تبدين رائعة».

احمرّت وجنتاها حياء، وشعرت بعدم لباقتها وهي تهمس:

«اشكرك».

وشعر بارت بحرجها، فقطع الصمت الذي تلا كلماتها بنظره المتنقل بين كيم وروك وقوله لها:

«هل اتفقتما على موعد العرس؟ آمل يا عزيزتي كيم الا تخرقي العرف، فتلبسي ثوباً ابيض».

«اجل. بالطبع سأفعل».

حدقت في خطيبها، فيما انشغل قلبها وفكرها ثانية برجل آخر هو ريتشارد الذي توفي في الرابعة والعشرين بصورة مفجعة. وطغا الحزن على جمال عينيها، غير انه سرعان ما زال. ثم قال روك ببرودة:

«اظن ان عرسنا سيتمّ في خلال اسبوعين».

وعلى رغم مفاجأة كيم بالقرار، ابتسمت وقالت:

«لا توفّر لي هذه المدة وقتاً كافياً لاجراء الترتيبات».

لم يتّسم صوتها بنبرة احتجاج او اعتراض، فابتسم روك وقال متجاهلا كلماتها:

«اذن، هل نقول بعد اسبوعين من اليوم؟».

وافقه بارت على اقتراحه:

«هذا رائع. سيكون ذلك قبل عيد الميلاد بثلاثة ايام».

«سنقيم حفلة لم يروا مثلها في هذه الانحاء من قبل»..

ومضى روك ليؤكد انه عندما طلب اليها تزيين شجرة الميلاد له، لم يكن يعرف انها ستضحي زوجته قبل ان يحدث ذلك. وعلق بارت:

«يا الهي كم تشاجرتما وتشاحنتما».

علق روك بقوله:

«لم يكن ما بيننا مشاجرات، بل مناوشات استخدمنا فيها ألسنتنا كأسلحة.

وهي لم تكن خطرة في اي حال، اليس كذلك يا كيم؟».

غرقت في التفكير وهي تجيب:

«لم تكن خطرة بحيث تترك آثاراً مزعجة بعد انتهائها. لقد اردت دوماً ان اراك غاضباً».

«غاضباً؟ لماذا؟».

«ذات مرة قلت ان النساء يكشفن عن ضعفهن عندما يغضبن. فسألتك اذا كنت لا تغضب. فاجبت بالنفي. من هنا قررت ان اثبت خطأك».

«فهمت».

بدا مرحاً. الا انه عندما تحدث ثانية، سرت القشعريرة في جسم كيم بسبب لهجته:

«لا انصحك بمحاولة اثارتي واغضابي يا كيم، لانك لا شك ستندمين على ذلك كثيراً».

نظر اليه بارت، وضحك وهو يقول موبخاً:

«هذا النوع من المزاح قد يخيف الفتاة».

وجدت كيم نفسها تضحك... لكنها تيقنت من ان روك لم يكن يمزح ابداً، وادركت انها لو اختبرت غضبه مرة، لما تجرأت على تكرار التجربة ثانية.

وبعد العشاء استأذن بارت من روك وكيم قائلا انه يريد مراجعة بعض ملاحظاته. فخرجا الى الحديقة تحت جنح الظلام. وكان الليل هادئاً نحيفاً وعابقاً بأريج الزهور من حولها، وصرصرة الزيزان التي ملأت الجو. وتسربت اشعة القمر الفضية عبر اغصان النخيل لتفرش الروضة المخملية القائمة بموازييك ضوئي. ووقف روك تحت شجرة الطرفاء حيث عانق كيم بشدة. فقالت له:

«روك، انك تؤذيني».

اجاب بحنو وهو يرخي قبضته عليها:

«آسف يا حبيبتي».

وتابعا سيرهما عبر الروضة بصمت وتفكير. واحست كيم بزوال الشكوك التي ساورتها، كما شعرت انها غلبت كآبتها التي لن تعود. وعادا ادراجهما بعد ان وصلا الى طرف حديقة بارت الجنوبي حيث امتدّ حوض النهر الجاف وقد ظللته اشجار الاكاسيا والتمر الهندي. وانبسط وراءه المرج الكبير ذو الاشجار الخفيضة موحشاً تحت قبة السماء الافريقية المضاءة بالنجوم.

سكون. صمت. اتساع. بداوة. دنت كيم من حبيبها وكأنها تلتمس حمايته. وقال فيما استنشق عطر شعرها:

«لا. لا يمكن ان تكوني سعيدة قدر سعادتي، يا حبيبتي».

كيف تقاس السعادة؟ انها اما ان تملأ على الانسان كيانه، واما انه لا يملكها. فهمست:

«اكاد انفجر من السعادة».

وضحكت رداً على قهقهة روك:

«لم يكن جوابي رومنطيقياً ولا مقنعاً، اليس كذلك؟».

«لم يكن رومنطيقياً بالمرة يا حبيبتي. اتوقع ان تجيبي على نحو افضل في المستقبل».

«اظنني قصدت ان قلبي يفيض سعادة».

«اخبريني يا حبيبتي. هل فكرت بخطوبتك الاولى؟».

اطرقت على الفور، ثم اجابت:

«لقد خطرت ببالي في هذه العشية، وفكرت بريتشارد لحظة».

لم يظهر الخوف في مقلتيها الجميلتين اللتين اضاءهما نور القمر والنجوم عندما التقت بعينيه لانها لم تخش ثانياً، ولم تر له اثراً. وقالت:

«هل غضبت؟».

هز رأسه وقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة مطمئنة:

«كلا يا عزيزتي. فمن غير الطبيعي الا تفكري به في هذا الوقت».

«لا يسعني ان استرجع ملامحه ولا ملامح والدي بدقة. من المؤكد اني

املك صوراً لوالدي».
«اود ان ارى صورهما».
اشعرها طلبه ببعض السعادة. فقالت:
«ستراهما طبعاً. كان والداي رائعين يا روك».
«لا بد انهما كانا كذلك».
«وعند وفاتهما كانا شابين، فلم تتجاوز والدتي التاسعة والثلاثين ووالدي الثانية والاربعين».
«يا الهي، لا بد انك مررت بوقت عصيب جداً».
«جاء دخول بارت في حياتي اشبه باستجابة لتضرّعي وصلاتي. من هنا ينبع حبي واخلاصي له. فقد كان اشبه بوالد لي».
«هذا اكيد. وهو يحبك كثيراً يا كيم».
«انا اعرف ذلك».
بدا روك وكأنه يتنهد من اعماقه، الامر الذي خالف طبيعة قوته ورجولته الطاغية. فسألته:
«روك... ما بالك؟».
«ما بالي؟ لم تسألين هذا السؤال يا حبيبتي؟».
طمأنت كيم نفسها وقالت انها لا بد تصوّرت تلك التنهيدة. ثم اجابت بمرح مصطنع شابته بحة في صوتها:
«لا شيء. آه. ولكني احبك».
«وانا كذلك».

٨- يريد ان يرحل وحيداً

اقتربت حفلة الاستقبال، التي احياها روك وكيم في النادي بمناسبة عرسهما، من نهايتها. واستعد العريسان، اللذان اجّلا شهر عسلهما لرغبتهما قضاء عيد الميلاد في المنزل، لمغادرة النادي، والاتجاه الى مسكن لوساكا حيث يختمان يوم عرسهما ببعض السكينة والهدوء. وقد اعتنت كل من سوزان وليندا بكيم، التي تألقت في ثوبها الابيض. وجدير بالذكر ان كيم لم تفكر بالطلب من سوزان ان تكون اشبينتها. الا ان الاخيرة قالت:

«من الواضح ان ليس لك اصدقاء مقرّبون هنا يا كيم. وهكذا، اذا قدّرت اني قد اكون لك عوناً، لا تترددي في الطلب اليّ».

فوجئت كيم، وقالت بدون ان تفكر:

«لعلّك لا تمانعين في ان تكوني اشبينتي اذن؟».

«اظنك مثل كثيرين آخرين افترضت اني احب روك. الا اني كنت دائماً اعرف انه لن يكون لي. كيم، اني ارضى ان اكون اشبينتك».

وكان كليف ستاين اشبين العريس. وسألت كيم وهما في السيارة في طريقهما الى البيت بعد ان تركا ضيوفهما يستمتعون بآخر رقصة:

«هل لاحظت اهتمام كليف بسوزان؟».

اجاب روك:

«لم تر عيناي سوى عروسي الحلوة. كلا، يا عزيزتي، لم الاحظ ان كليف اظهر اهتماماً زائداً بسوزان. وارجو الا تحاولي القيام بدور سمسارة العرائس في المنطقة خصوصاً ان كليف عازب مكرّس».

لم تتمالك كيم الا ان ذكّرته:

«وهكذا كنت انت».

صاح بذهول وتهكّم:

«يا الهي. هكذا كنت انا».

«اظن ان كليف وسوزان يناسبان بعضهما تماماً».

«انتبهي الى ما قلته. فكليف ليس من الرجال الذين يسعون وراء الزواج».

«لماذا؟».

ردد زوجها سؤالها وهو يرميها بنظرة بعد ان حوّل بصره لحظة عن الطريق الغارق في ضوء القمر:

«لماذا؟ كيف يمكنني ان اعرف لماذا».

«انت صاحب الادعاء، وعليك تبريره».

«هل تحاولين يا فتاتي جرّي الى مشادة كلامية؟».

«ليس الليلة يا روك الحبيب».

«هل انت خجلة يا حبيبتي؟».

«كلا، بكل تأكيد».

«لا اصدقك».

«روك، هل تحاول ان تجرّني الى مشادة كلامية؟».

«ذكريني فور وصولنا الى المنزل بان اضربك».

«لنعد الى قضية سوزان وكليف. فانت تجد فيه رجلا لطيفاً عندما تتعرف عليه. صحيح انه خجول، ولكن...».

«ولكن، هل يمكنني ان اسألك منذ متى تعرفت بكليف وعرفت طباعه؟».

«انه صديقك. والا لما طلبت اليه ان يكون اشبينك».

انحرف روك بسيارته ليتحاشى شقاً كبيراً في الطريق ظهر فجأة تحت ضوء مصابيح السيارة الامامية. وقال:

«لم تجيبي على سؤالي».

«الحقيقة اني لا اعرفه. لكني تحدثت اليه اليوم، وقد بدا لي جذاباً. ولا اظن انه عازب مكرّس، بل اشعر انه خجول وغير واثق تماماً من نفسه».

«ربما كنت مصيبة في قولك يا عزيزتي. اليست الليلة جميلة؟ انظري

الى القمر الكبير يسبح في السماء».

«القمر الافريقي. . . انه جميل ورائع. انه قمر العشاق. لننزل الستائر هذه الليلة عندما. . .».

بلعت كيم ريقها بصعوبة اذ تنبهت لاشتداد الحمرة التي علت وجهها. ولم تستطع ان تتكلم لما اجتاحها من عاطفة جيّاشة. وانقضت بقية الرحلة في صمت قطعه روك، بعد ان ساعد عروسه على الخروج من السيارة ودخول المنزل، فيما قال:

«اتمنى لك يا عزيزتي دوام السعادة».

لم تقدر كيم ان تجيب بشيء لان حالها لم يتغيّر عما كان وهي داخل السيارة. وساعدها روك على دخول غرفتها الجميلة، التي اعيد تأثيثها بسرعة اذهلت كيم وبارت، اللذين اعتبرا السرعة التي وصل بها الاثاث الذي اوصى عليه روك من جوهانسبورغ اشبه بالمعجزة.

وجاء يوم عيد الميلاد، فكان كما اشتهته كيم، بل اكثر. فنهضت وروك باكراً، وتناولا فطورهما على الشرفة، قبل ان يجتازا بالسيارة المسافة القصيرة التي فصلتهما عن مسكن كاتانيا من حيث رجعا ببارت الى مسكن لوساكا. وكان روك قد قدم اقتراحاً ذكياً يقضي بان ينزل ثلاثتهم هداياهم عن شجرة العيد ويفتحوها معاً. وجذبت الفكرة كيم، فازداد حبها لزوجها. فقد ادرك بالفطرة انها ترغب في ان يشاركها بارت فرحة تبادل الهدايا.

ولما رأى بارت الشجرة، هتف:

«يا له من منظر مدهش. ارى يا عزيزتي كيم انك زدت براعة هذه السنة».

وبدا بارت سعيداً معافى وقد استردّ شبابه. فشعرت ان كأس سعادتها قد فاض. فقالت لبارت ضاحكة:

«بارت، هداياك هنا مع الملاك الذي يراقبها».

تناول بارت شراباً قدمه اليه روك. فرشفه ووضع الكأس على الطاولة. ثم تقدم من الشجرة وبدأ يحلّ شريطاً احمر براقاً، كانت كيم قد شدت به حزمة الى الشجرة. وفي الوقت نفسه فكّت هي رزمة اخرى اصغر حجماً. وتبع ذلك محادثة اعرب فيها الثلاثة عن شكرهم لبعضهم، واعجابهم بهداياهم. فكيم حصلت من بارت على ساعة مع سلسلة ذهبية تناسبها-

وكان واضحاً انه اشتراها من انكلترا- ومن روك على اسوار وحلق ذهب علاوة على قلادة تتماشى معها. اما بارت، فتلقى من روك كتاباً كان يرغب بالحصول عليه، ومن كيم على تمثال من الكهرمان لفتاة ترقص كان قد ابدى اعجابه به في لندن خلال اسبوع قضاه مع كيم هناك. ففرحت كيم اذ رأته يفاجأ بالهدية. وكانت هدية بارت لروك مفكرة ذات غلاف من جلد مطرّز، في حين اهدت اليه كيم اناءين قديمين صنعا من الزجاج المقطع كانت قد عثرت عليهما في متجر صغير يقع في احد شوارع تنغافيل الخلفية. فنظفتهما ولمعتهما بحيث ظهرا جديدين. فرح روك بالاناءين. الا ان سروره بتلقيهما لم يعادل سرور زوجته باكتشافهما خصوصاً وانها لم تكن تعرف ماذا تشتري لزوجها الذي لم ينقصه شيء.

ووضع روك الترتيبات لتناولهم الغداء في النهر على متن زورقه. ولم يدع الى الغداء سوى صديقين لبارت عازبين كانا سيقضيان العيد بمفردهما. وتناولوا الغداء بهدوء بينما اندفع الزورق بسلام في النهر تحت السماء الزرقاء الصافية التي غالباً ما حجبتها اغصان الاشجار الممتدة فوق النهر بحيث لم تزعج اشعة الشمس المحرقة ركاب الزورق الخمسة. وتألقت عينا كيم حبوراً، فادركت انها لن تنسى مدى العمر هذا اليوم- الجدول الهادىء، وروائح النباتات الخضراء التي نمت بوفرة على ضفافه، ونباتات السحلبية بالوانها الزاهية وقد علقت باغصان الاشجار، وموسيقى الترانيم الميلادية الناعمة التي انسابت من مسجل وضعه روك في الزورق. وأحست بنعيم تمنت لو يدوم. لكنه لم يكن ليدوم بالطبع. فروك سيقيم حفلة عشاء الليلة، وقد ارادت كيم ان تشرف بنفسها على الطاولة وترتيب الزهور والاضواء والمقاعد.

عندما ودع روك وكيم ضيفهما الاخير، وقفا على الدرج يراقبان اضواء سيارته الخلفية الحمراء تختفي عند المنعطف في آخر الممرّ المؤدي الى مسكن لوساكا.

وقال روك:

«هل استمتعت بنهارك يا حبيبتي مثلما استمتعت انا؟».

ردت وهي تضحك سعيدة:

«لقد ملأته المتعة وكان بارت سعيداً. هل لاحظت انه بدا شاباً اكثر

من اي وقت مضى؟».

لم يجب فوراً كما كانت تتوقع. بل الحقيقة ان الصمت الذي اعقب سؤالها طال كثيراً قبل ان يقول بلهجة مبهمة:

«الحقيقة يا عزيزتي انه بدا غاية في العافية والسعادة كما تقولين».

انزعجت بدون ان تدري سبباً لذلك، فسألت:

«هل هناك ما يزعجك؟».

«يزعجني؟ كلا يا حبيبتي».

وفي مساء اليوم التالي اقيمت في النادي حفلة راقصة. وكالعادة كانت رافيلا، التي قررت حضور عيد الميلاد، نجمة الحفلة بعباءتها البراقة وحليها وابتسامتها الفاتنة وحيويتها. الا انها لم تظهر الود تجاه كيم عندما ذهب روك لشراء الشراب لهما، فتقدمت من زوجته وقالت:

«هل قضيت يوماً جميلا في عيد الميلاد؟ اظنك قد دعوت رب عملك، اليس كذلك؟ من جهتي انا، لا احبّ ذلك في شهر عسلي».

سيطرت كيم على اعصابها بالرغم من غضبها، وقالت انها ستقضي شهر العسل مع روك بعد انتهاء احتفالات عيد الميلاد. وسألت رافيلا وهي مصممة على الظهور بمظهر الفتاة اللطيفة المهذبة:

«وماذا عنك انت؟ هل كان يوم العيد ممتعاً بالنسبة اليك؟».

«لم يكن يومنا موحشاً على الاطلاق. فقد تلقيت انا وسوزان فقط دعوة لتناول العشاء في منزل الأخوين ستاين».

لم تستطع كيم ان تخفي دهشتها:

«هل دعيتما؟ لم افكر انهما يوجهان الدعوات في أيّ حال».

اوضحت رافيلا ببساطة:

«من الواضح ان كليف اعجب بسوزان ايّما اعجاب».

«آه...».

تأملت رافيلا كيم بفضول، وقالت:

«وماذا تعنين بصيحة «آه»؟».

هزت كيم كتفيها وهي ترد:

«لا شيء... لا شيء على الاطلاق».

«اظنك فرحت بحب كليف لسوزان».

اقرت كيم بشيء من العصبية:

«ربما».

ثم تلفتت حولها وهي تتمنى ان ترى روك يحضر مع الشراب. ثم علقت رافيلا:

«انهما لا يناسبان بعضهما تماماً كما هي الحال معك انت و....».

وصمتت. الا ان كيم فطنت ببديهتها السريعة ان الفتاة قصدت ان تنبه كيم الى ما كانت تنوي قوله. فتنهدت كيم مستهجنة سوء سلوك رافيلا، وقبل ان تتاح لها فرصة الردّ عليها، حضر زوجها وناولها كأسها. ثم نظر الى الفتاة الجميلة بقربها وابتسم لها وهو يسألها بتهذيب:

«هل يمكنني تقديم بعض الشراب لك يا رافيلا؟».

اجابت رافيلا ببرودة قبل ان تستدير مبتعدة:

«كلا. اشكرك».

تطلعت كيم الى زوجها، وقد جرحها ما كانت رافيلا تنوي قوله، اي ان كيم وروك لا يناسبان بعضهما. وكان من السخف ان تكترث كيم للفتاة. الا انها تنبهت ثانية لتلك الشكوك التي ساورتها بعد مرضها والتي عزتها الى الكآبة التي تحدث عنها روك. وهمس روك في اذنها بحنو وهدوء مطمئنين:

«هل قلت لك يا حبيبتي انك في غاية الحسن؟ هذا اللون يظهرك على طبيعتك... انه الارجواني الزاهي، اليس كذلك؟».

صححت معلوماته وهي تبتسم:

«انه الليلكي».

وبعد قليل قال روك:

«هيّا ننضم الى سوزان وكليف. فقد بدأت اتساءل اذا كان هذا الرجل سيطوي صفحة من كتابي ويجد لنفسه زوجة جذابة».

ضحكت كيم وهي تقول:

«اتمنى لو استطيع ان اقول لك: هكذا قلت لك».

«اراهن انك ستفعلينها يا لعينة».

ولشدّ ما دهشت كيم اذ رأت رافيلا توافيهما فوراً وكأن ما فعلته قبل لحظات لم يكن. فهي الآن جذابة ومتألقة فيما تنظر الى روك اولا ثم الى كليف وهي تطرف باهدابها وتهز شعرها الذهبي كما تمسك بعض خصلاته

بين اصابعها الطويلة الرشيقة. ونظرت كيم الى رجليها اللتين شابهتا ارجل الفتيات المعروضة في اعلانات طلاء أظافر الأرجل. وهمست رافيلا:
«ماذا فعلت لك يا كليف حتى لا ترقص معي؟».
عبست سوزان، ثم نظرت الى كيم. وبدا كليف على اهبة الاستعداد لكي يترك الفتيات الثلاث يتحدثن فيما بينهن. لكنه اجاب رافيلا بتهذيب وقد اتضح انه تذكر انها ضيفة سوزان:
«ربما كان عليّ تعديل جدول الحذف او اللائحة السوداء. ولعلك بذلك ترقصين معي الرقصة التالية».
«بالطبع. هيّا. فالموسيقى قد بدأت بالعزف من جديد».
صاحت سوزان مغتاظة:
«اتمنى لو تعود الى منزل والديها لانها اصبحت مملّة».
وتوقفت قليلا قبل ان تضيف:
«ادرك انني لم اكن لبقة، لكني اعرف ان باستطاعتي التحدّث بحرية اليك يا كيم»..
سألت كيم:
«متى ستعود الى والديها؟».
«الله وحده يعلم. اظنها ستبقى هنا لتراهن على كليف».
صاحت كيم متعجبة، ولم تدرك كم اعوزتها اللباقة:
«آه. كلا».
قالت سوزان بذلّ وخيبة:
«بلى. وهكذا اكون قد احببت اثنين ولم احظ بأيّ منهما. ولا شك ان الحظ سيحالفني في حبي الثالث».
صرخت كيم بانقباض:
«لا. لا، يا سوزان».
«آسفة. لقد قلت لك عندما عرضت ان اكون اشبينتك ان روك لم يكن لي. اما كليف، فلم افكر به الا مؤخراً حين بدأ يتحدث اليّ. وانا واثقة انه حضر هنا الليلة ليقابلني، لانه كما تعلمين لم يكن يحضر حفلات الرقص هذه من قبل».
«حتى ولا في عيد الميلاد؟».

«كلا، لا ولا في عيد الميلاد».
انقطعت سوزان فجأة عن الكلام. ثم رفعت يدها وتكلمت:
«يبدو ان روك لا يهتم بشراب رافيلا، وها هو ذا منشغل بحديث شيّق مع السيد ناش».
استدارت كيم لترى ان روك وبارت وقفا عند البار وانشغلا في حديث شيق كما قالت سوزان. فاوضحت:
«ان لديهما اهتمامات كثيرة مشتركة. واظن ان روك سيحزن عندما يغادر بارت البلاد».
«هل ما سمعته عن تقاعده صحيح؟».
«صحيح. انه سيخلد الى حياة اسياد الريف الانكليزي عما قريب».
«هل سيعيش وحده اذن؟».
اجابت كيم بحزن:
«اجل، لان لا اقارب له على حدّ علمي. غير انه يحتفظ بمدبرة منزل ممتازة تهتم كثيراً. ولذا سيكون على ما يرام».
«اظنك ستزورينه برفقة روك دورياً».
«بالطبع».
«كم اتمنى لو ازور انكلترا ذات يوم... يا الهي، ماذا عسى رافيلا أن تفعل؟ اعرف ان ما سأقوله اشبه بالهراء، لكنها تبدو وكأنها تسترق السمع».
«لقد رأيتها ترقص منذ قليل...».
«غير انها لا ترقص الآن».
استدارت كيم، وحدّقت اليها بانشداه اذ رأت رافيلا تقف على مقربة من روك وبارت وقد بدت منسجمة للغاية بما كانت تتنصت اليه. وامالت رأسها جانباً غفلة عن كل من كان بقربها او انها ارادت ان تصبح محط استغراب لما تفعله. وهمست كيم وهي تعبس:
«لا بد انها قررت الذهاب الى البار. ولكن، كم هو غريب ان تتنصت».
ولاحظت كيم ان كلا الرجلين ادار ظهره للفتاة. اما سوزان، فقالت وهي تعبس فجأة:

«لا بد ان حديثهما شيّق. وانت تعرفين ولا شك ما يمكن ان يتحدث الرجال به».

تغيّر لون كيم قليلا وهي تقول معترضة:

«لا اظن ان بارت او روك يتحدثان بامور قذرة».

ضحكت سوزان قليلا:

«آسفة اذا قلت لك يا كيم انك ساذجة. فروك وبارت لا يختلفان عن سائر الرجال بشيء متى تعلّق الامر بتبادل النوادر البذيئة».

هزت كيم رأسها معترضة، وركزت نظرها على رافيلا التي ظلت غارقة في استيعاب اقوال الرجلين. ولم يحول انتباه كيم عن رافيلا الا اقتراب كليف من سوزان، فسألته لماذا ترك هو ورافيلا حلبة الرقص.

«احست رافيلا بالعطش. فذهبت الى البار طلباً للشراب. وكنت ساذهب معها، غير ان جون بايترسون اوقفني وتحدثت اليه».

ثم نظر نحو البار، وصاح:

«ها هي ذي. اظن ان روك سيشتري لها ما تشربه».

ورأت كيم الرجلين يتحركان، ورافيلا تنطلق بعيداً ثم تستدير وتقترب منهم بلامبالاة وهي تبتسم ابتسامة مطمئنة. وتحدثت، فاجابها روك وكأنه يعتذر. وما لبث ان ناولها كوباً.

ورجع روك بينما تخلّف بارت عند البار ليتحدث مع احد اصدقائه الذي اقترب منه. وابتسم روك وهو يمسك بيد زوجته ويقول:

«هل تريدين ان نرقص؟».

بادلت كيم زوجها الابتسام برغم القلق الذي انتابها لدى مشاهدة عيني رافيلا التي رمقتها بنظرة فيها معاني الانتصار. ولاحظ روك اضطراب زوجته، فسألها:

«هل هناك ما يزعجك؟».

«ك... كلا...».

«ما بالك؟ انك لا تبدين واثقة من نفسك وجوابك».

«لا شيء».

احست ببلاهتها وهي لا تقدر ان تكشف لنفسها، قبل زوجها، عما يزعجها. وهي لا تكاد تجرؤ ان تقول له انها لا تكترث لتعابير رافيلا. وعلى

طاولة العشاء لاحظت كيم تصميم رافيلا على جلب انتباه روك. وقد غازلته، مع ان ذلك كان غير لائق ومقبول.

وروك نفسه لاحظ ذلك لانه من المستحيل ان يخطىء فهم اندفاعات الفتاة المتعمدة. وارتبك مثل سوزان وكليف، اللذين جلسا قبالته الى الطاولة المنخفضة. واحاطت رافيلا وكيم بروك من الجانبين. وعصفت الغيرة بكيم للمرة الاولى، فغضبت اشدّ الغضب من روك، وشغلت نفسها بالحديث مع فال الجالس بجانبها. ومن نافل القول ان فال شعر بصدمة عندما سمع بخبر خطوبة كيم. ولكن بالطبع كان عليه الاقرار ان لا رابط يجمعه بكيم. صحيح انهما احبا بعضهما بعضاً، الا ان علاقتهما وقفت عند هذا الحد علماً بان فال تمنى لو انها تطورت.

ولما انتهى العشاء، انسلّت كيم خارجة الى الحديقة مدفوعة بحافز لم تستطع السيطرة عليه. وعاودتها كل مخاوفها السابقة، فساورتها الشكوك. وتجولت في الاماكن المظلمة وهي بالكاد تتمتع بما حولها من اشجار نخيل متمايلة تتسرّب عبر اغصانها ضوء النجوم، ومن صورة معتمة للجبال وقد بزغ فوقها هلال القمر، وللهواء المعطر الذي هب فوق المرج النائم الساكن. وفجأة تشنجت اذ سمعت اصواتاً في الجانب الآخر انها سوزان ورافيلا... وقالت سوزان:

«عرفت انك كنت تسترقين السمع الى حديث روك مع السيد ناش. لكني لم اتصور انك اطلعت على كل ذلك».

وقبل ان تستطيع كيم التحرك، اضافت سوزان:

«اذن، فالسيد ناش لن يعيش اكثر من شهور معدودة».

اشهر معدودة. نبض قلب كيم بقوة وعنف، وعجزت عن التحرّك، حتى وان ارادت ذلك اذ كانت رجلاها تتهاويان. وعرفت ان وجهها ابيضّ واعصابها اضطربت. بارت... الرجل الذي كان بمثابة والدها، بل والدها ووالدتها...

ثم نطقت رافيلا بصوت ينمّ عن القسوة:

«قلبه... لما اخبره الطبيب انه لن يعيش طويلا، اشتدّ الحاحه في التمني بان يرى كيم تستقرّ. واليوم كان السيد ناش يشكر روك لموافقته على الزواج بكيم. ومن هنا استنتجت انه رجاه ان يتزوجها. لقد طوّق عنقه

بجميل...».

قاطعت سوزان رافيلا بصوت اختلفت نبرته كثيراً عن نبرة صوت رفيقتها اذ امتلأ قلقاً وشفقة وغماً:

«لا اتصوّر ان روك يذهب بعيداً الى هذا الحدّ في اسداء خدمة لصديقه. ولا بد انه احبها».

«لا شيء مما تقولين. انا اعرف وافهم ما سمعته يا سوزان. فالسيد ناش اكّد ان كيم يجب الا تعرف بطلبه من روك الزواج منها، وبذلك سيضمن مستقبلها. واضاف انه كان يستطيع ان يورثها المال، لكنه لم يعتبر ذلك ضمانة اذ هي بحاجة لمن يرعى شؤونها. وقد افرط في الاعراب عن امتنانه وعرفانه بالجميل».

«ولكن، كيف قابل روك ذلك الثناء الحميم؟».

اعقب سؤال سوزان صمت غريب كئيب. وتكوّن لدى كيم رغم ذهولها انطباع بان رافيلا، كانت تنصت، او ربما تختلس النظر عبر السياج. فكرة سخيفة. فها رافيلا قد عادت للكلام:

«واجاب روك ان لا داعي لشكر السيد ناش لانه كان يفكر منذ بعض الوقت بان يتزوج حتى ينجب وريثاً. ثم اضاف ان كيم مثل اي فتاة تصلح لذلك العمل».

شعرت كيم بألم حاد كالسيف في رأسها. فهي مثل اي فتاة تصلح لذلك العمل... اذن، انها لا تعني شيئاً لزوجها. ووظيفتها لم تتعدَّ انجاب وريث له. وخطرت لها ذكريات عديدة اكسبت كلام رافيلا معنى حقيقياً. فاستعمال بارت عبارة «بالحاح» عندما قال انه تمنى ان يراها تستقرّ، ثم اصطحابه روك الى غرفة مجاورة حتى يتحدث اليه على انفراد. وقول روك لكيم انه لا يجب ان تهتم كثيراً بمسألة تقاعد بارت.

وكان لكيم شكوكها، التي عرفت الآن انها نشأت منذ ان سألت روك اذا كان قد ناقش مع بارت احتمال زواجها في حال تقاعد الاخير. لقد ضرب على الوتر غير المتناغم في معزوفة طلب روك اليها الزواج به. وخمّنت ان روك عارض بادىء الامر على الارجح، لكنه وافق اخيراً ليريح صديقه ويحقق رغبته، اي الزواج لتأمين الذرية. لقد تأثرت كيم برقة روك في تلك اللحظة. غير انها الآن تعتبرها بلا معنى اذ كان عليه تصنعها حتى يقنع كيم

بحبه لها، والا لما قبلت كيم الزواج به.

الامر واضح...

ضغطت كيم بيدها على رأسها، لكن الالم المبرح لم يتوقف. لقد قضى ما سمعته على حياتها كلها. فهي ليست زوجة غير محبوبة فقط، بل ان بارت الحبيب سيفرغ منها عما قريب. وبكت بهدوء فيما فاضت بها الذكرى. وبدت كأنها تعيش الحزن الذي عرفته بعد الحادث الذي اودى باحبائها الثلاثة. وهمست: «لا استطيع تحمّل الأمر. ليس بارت. لا يمكنني تحمل فقدانه».

تابعت الفتاتان حديثهما. لكن كيم تحرّكت آخر الامر. والكلمة الاخيرة التي سمعتها نطقت بها سوزان، التي تهدّج صوتها:

«مسكينة هي كيم. لا ينبغي ان تعرف ابداً ان كل ذلك قد رتّب له...».

نقل روك النظر الى زوجته، فيما تشنجت عضلات فمه والتمعت عيناه وهو يصرخ:

«ماذا دهاك؟ لقد رفضت قضاء شهر العسل، وادعيت انك مريضة وترغبين بالنوم لوحدك. كما انك ترفضين السير معي، او ركوب السيارة بجانبي...».

ثم توقف وهو يتنهد غاضباً:

«انك ترفضين فعل اي شيء معي».

سألته وقد طفا الشحوب على شفتيها:

«هل انت فعلاً راغب في فعل شيء او بممارسة نشاط اشاركك فيه؟».

لقد فكرت كثيراً بما سمعته، وقررت بادىء الامر الا تفاتح زوجها او بارت بشيء. ونجحت في اخفاء حزنها وخيبة املها لما يزيد على اسبوع، لكن ذلك العبء اثقل كاهلها. ولما انتهت احتفالات الميلاد- وكانت بمعظمها محنة عاشتها كيم مع مغازلات رافيلا في الحفلات وفي سهرة الشواء- اعلن روك استعداده للذهاب في رحلة شهر العسل. فرفضت كيم قائلة ان ذلك يشكل انقلاباً. وبعد يومين من معرفة كيم ان مجامعة روك لها تستهدف فقط انجاب الوريث، ادعت المرض واعربت عن رغبتها بالانتقال الى غرفة اخرى. لم يسعد روك بالامر. الا انه، ويا للدهشة، لم

يعترض بل انتقل هو بنفسه الى غرفة نوم اخرى. ولم تعرف كيم كم سيطول ذلك لان الحزن ملأ عليها كل تفكيرها. وروك لم يعد يعني لها شيئاً. صحيح انها لا تزال، وستظلّ مقيمة على حبه، الا انها شعرت بكراهية تجاهه فقط لانه خدعها اذ تزوجها عن غير حبّ. وتأملت مدى قدرته على التمثيل وهو يردّد بدهشة وعدم تصديق:

«هل فعلاً اود ان تشاركيني نشاطاتي؟ هل جننت يا كيم؟ انا زوجك... زوجك الجديد. وانا بالطبع ارغب ان تشاركيني نشاطاتي. ماذا دهاك؟».

«لا يمكنني ان اخبرك».

«اذن، هنالك شيء تخفينه عني».

اطرقت صامتة، فيما سألها ملحاً:

«كيم، يجب ان تخبريني».

ابتعدت عنه وواجهته عبر الغرفة. وفجأة رغبت بالردّ عليه ومعاقبته على ما فعل بها. فتكلمت بسرعة متعمدة حرمان نفسها فرصة تغيير رأيها:

«بكل بساطة، انا لا احبك».

الصمت. صمت مخيف نتيجة الانشداه والانكسار. ثم ضيق في حدقتي روك.

«انت... اني ارفض تصديق ما سمعت. لا بد ان هنالك سبباً آخر».

انقلب لون كيم ابيض. وهزت رأسها وقد صممت ان تقنعه انها لا تحبه. ففي اي حال كانت تلك افضل طريقة حيث لم يكن بوسعها اطلاعه على الحقيقة، ولو كان ذلك التدبير مقيّداً بمدة بقاء بارت على قيد الحياة. فلا بد لروك ان يخبره بشيء في حين لم ترد كيم ازعاجه في هذه المرحلة من حياته.

«كنا دائماً نتشاجر. اليس كذلك؟ اذن كان يجب ان نعرف ان زواجنا هو منتهى الحماقة. ولعلك تذكر اني كنت مريضة عندما طلبت يدي، ولا اظن الا ان آثار الحمى هي التي دفعتني الى اتخاذ مثل هذا القرار المتسرع...».

صرخ وموجات الغضب تعلو جوانب فمه:

«اصمتي. كفّي عن هذا الكذب والهراء، وقولي لي ماذا جرى لك».

تذكرت كيم قوله ان اثارته ضرب من الجنون. صحيح. ولكنها لم تعد تبالي. فليغضب. وليضربها. انه في اي حال لن يزيد آلامها الحاضرة. وكررت بجسارة ما كانت قد قالته سابقاً:

«بكل بساطة، انا لا احبك يا روك».

تقلصت عضلات فمه. وظهر جلياً ان غضباً جامحاً تملّكه. وشعرت كيم رغماً عنها بالسعادة لوجودهما في قاعة الاستقبال في منزلهما عند الضحى. ولو كان الوقت ليلاً، وكانت في حجرة نومها...

الا ان الليل لا بدّ آت. واستحمت كيم، ورقدت وهي ترتدي قميص نومها الشفاف الانيق. وفتح الباب بعنف على حين غفلة، واقتحم زوجها الغرفة. ونبهتها قسماته القاتمة الى انه في ثورة غضب عرفت هي الدافع وراءها.

وقال وهو يصرف اسنانه:

«لم تتناولي الشاي مع فال بعد ظهر اليوم؟».

«وماذا في ذلك؟ لقد غازلت رافيلا بما فيه الكفاية في الآونة الاخيرة».

«لم اغازل رافيلا».

سكتت كيم، واقرّت ان رافيلا هي التي غازلته وجددت سعيها لخطب ودّه بعد ان علمت انه لا يحب زوجته. وقد قالت انها ستبقى طالما وجدت المتعة. وهي لم تظهر حتى الآن ايّ دليل على قرب رحيلها الى بلدتها. وكان واضحاً ان روك هو الذي جذب رافيلا علماً بانها اظهرت ايضاً اهتماماً بكليف ستاين، الذي اشيع انه حوّل اهتمامه من سوزان الى رافيلا. ولا غرو ان يعجب بفتاة مثل رافيلا وهي على هذا القدر من الجمال والفتنة خصوصاً انه لم يدرك انها تستعمله لتخفيف ضجرها وملء فراغها اثناء غياب روك.

وبعد ان لاحظت كيم انتظار زوجها لتعليقها على قوله، همست آخر الامر:

«ليس من المهم اذا كنت تغازل رافيلا ام لا. لكنني افترض انها هي التي اخبرتك انني تناولت الشاي مع فال. فقد رأتنا سوياً، فيما تحدثت اليها انت هذا المساء».

لقد زارا منزل اسرة بيترسون لتناول شراب الغروب. وكالعادة،

استعملت رافيلا كل وسائلها للاستئثار باهتمام روك.

«لا اسمح لك ان تشربي الشاي معه ثانية، هل تفهمين؟».

وحانت من عيني روك التفاتة قاسية، فاحمرّت خجلا. ثم رأته يتطلع اليها.

«سوف اشرب الشاي مع من اشاء».

ثم صاحت:

«ارجوك، اخرج. فانا متعبة».

«متعبة؟ هل انت متعبة؟».

لم يغادر روك الغرفة، بل خطا خطوتين، وبلغ وسطها. اما كيم، فتراجعت حتى كادت رجلاها تصطدمان بالسرير فيما امرها برقة:

«تعالي الى هنا».

بلعت كيم ريقها وقد تنبهت الى تسارع خفقات قلبها. ورغم الغضب الظاهر على وجهه، شعرت بحب جارف له في داخلها. وقالت:

«لقد طلبت اليك المغادرة».

لم تعرف كيف نطقت بهذه الكلمات ببرود. لقد انقسمت الى شخصين- احدهما يكره روك، والآخر يحبه حباً عارماً هدد باجبارها على الخضوع له.

علت السخرية فمه فيما تسمّرت عيناه بصلف ووقاحة على جسدها النحيل المغري:

«هل تظنين اني ساغادر الآن؟ انا زوجك يا كيم. وانا رجل تعالي الى هنا».

وعندما رأى انها لم تتحرّك، اضاف وهو يشير الى نقطة امامه:

«انصحك باطاعتي. اطيعيني يا كيم، والا فستندمين. انا لا القي كلامي جزافاً».

انفجرت باكية وهي تتمنى لو تعيش مع بارت الاشهر القليلة الاخيرة من حياته. ولكن، كان عليها عوض ذلك ان تبقى مع زوجها الذي لم يحبها. فتحكمت بها رغبة العصيان والتمرّد، ورفعت رأسها وصاحت باكية:

«اخرج. الا ترى اني لا اريدك؟».

في الصباح دخلت الى غرفة المكتب.

فابتسم لها بارت. رفعت كيم نظرها اليه ونجحت في مبادلته الابتسام. ثم تساءلت عن تأثير الاجهاد الحالي عليها فيما بعد. لقد ادعت السعادة، واضطرت ان تمثّل دور الزوجة السعيدة كلما التقت روك بحضرة بارت. كما اظهرت الاهتمام الشديد كلما ذكر بارت موعد نشر الكتاب. اظهرت الاهتمام، في الوقت الذي ارادت ان تبكي لعلمها ان بارت لن يعيش حتى يرى كتابه ينشر ثم سألته وهي تضع اناملها برقة على مفاتيح الآلة الكاتبة:

«ماذا هنالك؟».

«قررت ان اذهب في رحلة صيد».

اتسعت حدقتا كيم، ورددت:

«رحلة صيد؟ هل ستكون على ما يرام؟».

فكّرت بحالته وخشيت ان تضرّه الرحلة اكثر مما ستنفعه. ولكنه سيتمتع بها اشدّ الاستمتاع علماً بانه اعرب غير مرة عن رغبته في مشاهدة بعض الحيوانات الافريقية في البرية. ثم، ماذا ستفعل طوال النهار اثناء غيابه؟ من المؤكد ان هنا عملا مؤجلا ينتظرها، ولكن، ما ان تنتهي منه حتى تصبح بلا عمل. وفي اي حال، كان همها الاول هو سعادة بارت. ولما ظهر انه اتخذ قراراً نهائياً في هذا الشأن، لم تجد بداً من مشاركته حماسته ومناقشته في ترتيبات الرحلة.

وبعد الظهر حضر روك، فاخبره بارت عن رحلة الصيد. ولم تتحمس كيم اثناء مراقبتها للرجلين اول الامر، الا انها توترت الى اقصى الحدود عندما اشار بارت الى رحلة الصيد. وعلى رغم استحالة تصديق خواطر كيم، فانها تأكدت ان روك عرف كل شيء عن الرحلة، وان بارت اخبره عنها من اجل كيم فقط.

السرية. . .

كان بمقدور كيم ان تفهم اسباب السرية في الماضي حين اراد بارت اخفاء حقيقة انه سيعيش اشهراً قليلة. وهي، في ايّ حال، لن تلومه ابداً على الاكاذيب التي لفقها لها، فأكد لها ان الطبيب طلب اليه ان يأخذ قسطاً اكبر من الراحة لانه متعب. اما الحبوب، فكانت لمعالجة شكوى قلبه. وقد عرف روك ذلك ايضاً. وكيم ستغفر لروك تضليله اياها نظراً الى انه فعل

ذلك بناء على طلب بارت. اجل، كان بمقدور كيم ان تفهم دوافع السرية في الماضي. اما الآن، فلا. ولم يرق الشك عندها الى حقيقة ان اموراً غريبة تجري من حولها. فروك لم يظهر اي دليل على الدهشة عندما ابلغه بارت عزمه على الذهاب في رحلة صيد، الامر الذي عنى انه ناقش الموضوع مع بارت سابقاً. واحتفظ به لنفسه.

وربما اعتبر روك ان علاقتها جعلت من احاديثه مع بارت امراً لا يعني كيم. وازداد الشرخ في علاقة كيم وروك يوماً بعد يوم، فشعرت كيم احياناً ان قلبها سينفجر. وقررت ان تغادر افريقيا بعد ان يسافر بارت، وتترك الزوج الذي استعملها لانجاب وريث فقط.

وبعد ان جلس روك، سأل بارت:

«متى تظن انك ستبدأ الرحلة؟».

«قريباً، قريباً جداً».

«هل ستترك الكتاب؟».

«اجل. فبامكان الكتاب ان ينتظر. ولدى كيم الآن عمل كثير فيه. كما ان بوسعها اجراء بعض الابحاث. وستكون جاهزة عند عودتي».

«كم سيطول غيابك؟».

ارادت كيم ان تعرف وهي تتساءل في سرّها اذا كانت ستراه حياً بعد الرحلة. واحست بالقشعريرة عندما فكرت بذلك. يجب ان تذهب معه لانه كان اهمّ بالنسبة اليها من روك.

«نحواً من اسبوعين.. هذا اذا كان كل شيء على ما يرام».

اعقب جوابه صمت مشحون انتهى بتبادل بارت وروك نظرة غريبة. ما بالهما؟

صمتت كيم لحظة لتصيغ كلماتها بافضل طريقة ممكنة:

«بارت، اظنّ ان علي مرافقتك بصفتي سكرتيرتك. وروك لن يعارض، اليس كذلك يا حبيبي؟».

كان من الصعوبة بمكان ان تناديه حبيبي. وتوقعت ان ترى الهزء والتهكم نتيجة ندائها. لكنها دهشت اذ رأت الاستغراب عليه، وكذلك على وجه بارت الذي قال:

«كلا. مستحيل يا عزيزتي...».

سألت بجرأة وهي تحاول ولو لمرّة ان تحل اللغز:

«لماذا؟».

«لانك متزوجة يا عزيزتي».

«لقد قلت الآن ان روك لن يعارض».

«لكن روك لم يقل ذلك».

وتبادلا نظرة اخرى مريبة قبل ان يقول روك بهدوء وبلهجة حاسمة:

«افضل الّا تذهبي مع بارت يا كيم».

اتّقد الغضب في عيني كيم، الا انها حاذرت ان يراها بارت.

«بارت يحتاجني. وهو ليس على ما يرام كما تعلم».

وجدت كيم صعوبة في كشف كل ما تعرفه، وفي القول ان بارت سرعان ما يتعب، ولذا يجب ان ترافقه لترى انه يعمل بنصيحة الطبيب ويعمل بقسطه من الراحة. كان التظاهر صعباً. لكن كيم نجحت في اداء دورها.

وقال بارت:

«لن احتاجك يا كيم. ارجوك يا عزيزتي، لندع الموضوع يقف عند هذا الحد. فانا اريد ان ارحل وحيداً... بل يجب ان ارحل وحيداً».

حدّقت كيم اليه وقد فطنت انه يعني ما يقول. فهو لم يكن يريدها...

وكذلك روك لم يكن يريدها فعلاً. وللمرة الثانية في حياتها شعرت انها وحيدة في العالم.

٩ - الصراع والرحلة

حلّ السبت، واخذت كيم تستعد لحضور حفلة النادي الراقصة. وكانت قد اخبرت بارت انها لا ترغب في الذهاب. الا انه اصر مدعياً انها تحتاج للتغيير وقال:

«هذه الفرصة ستريحك لأنك لازمت الآلة الكاتبة طوال ايام الاسبوع».

«انه عملي. وقد لازمت الآلة الكاتبة دوماً طوال ايام الاسبوع».

تنهد بعصبية وهو يضيف:

«قال لي بارت انك تعملين اشياء اخرى اضافة الى الطباعة. ولذا اظنني مصيباً في القول ان الاسبوع الماضي كان شاقاً اكثر من العادة».

هزت كتفيها وردت بلامبالاة:

«فكر كما تشاء».

الحقيقة ان روك اصاب في القول ان هذا الاسبوع كان شاقاً اكثر من العادة. فكيم ارادت تسهيل الأمر على بارت، حتى يذهب وهو مطمئن على الكتاب خصوصاً ان صعوبات كبيرة رافقت تأليف الفصل الحالي. فأعادت كيم طباعته مرات عدة وكل مرة قرأ فيها بارت الفصل، كان يعبس ويأخذ القلم ليجري بعض التعديلات. ورأت ان اعصابه انهكت، فيما صممت هي ان تطبع الفصل بصورته النهائية. وقطعت شوطاً كبيراً في سبيل تحقيق ذلك. وأملت ان ترضيه النسخة الأخيرة.

لدى وصولهم الى النادي، انصرف بارت ليتحدث الى احد اصدقائه تاركاً كيم وحيدة مع زوجها، الذي قال ببرودة ولا مبالاة انهما سيرقصان.

وعندما راقص رافيلا بعد فترة قصيرة بدا كأنه الفتنة بعينها اذ ابتسم بوجه الفتاة النضر، وتحدث اليها اثناء تنقلهما حول الغرفة بشخصيهما المهيبين اللذين جذبا انتباه الكثيرين. وفي الوقت الذي شعرت كيم فيه بالارتياح لعثور روك على شريكة سواها، احست بشيء من الرثاء لنفسها والاشفاق عليها. فقد نظر الناس اولاً اليها، ثم الى الراقصين الطويلين المتميزين. وكان من الطبيعي ان تلقى كيم العزاء في صحبة فال الذي تشوق لمراقصتها واصطحابها الى العشاء، ومرافقتها في نزهة داخل حديقة النادي. ومن المؤكد انه ارتبك مثل سائر الناس، الا انه ابدى لباقة تحاكي لباقة سوزان، التي ضحكت وهي تقول:

«ان رافيلا اسوأ مغازلة في العالم. وكم انا سعيدة انك لست من النوع الذي تلتهمه الغيرة يا كيم».

نظرت كيم الى سوزان. وكان من العسير الا تلمح القلق في عينيها. وتنهدت، وهي تتمنى لو انها تصادق سوزان، لأنها سترتاح كثيراً ان فتحت قلبها وفكرها لشخص يعرف كل الحقيقة مثلما عرفتها سوزان.

وحضر كليف ليصطحب سوزان ويراقصها. كيف تطورت علاقتهما؟ طرحت كيم هذا السؤ ال فيما استدارت لتبتسم لفال الذي اقترب منها فور رؤ يته سوزان تبتعد مع كليف. وقال لكيم:

«انك شاردة الذهن، او انك كنت كذلك».

«كنت افكر بسوزان وكليف».

اطرق مفكراً قبل ان يقول:

«انك تظنين انها قصة عاطفية وعلاقة حب».

«ستكون علاقة مريحة ومفيدة لكليهما».

«لم يكترث كليف كثيراً للفتيات من قبل. والحقيقة ان لا هو ولا شقيقه قد عاشرا النساء فعلاً».

«ووالداهما. . . هل توفاهما الله؟».

هز فال رأسه:

«انهما متقاعدان يعيشان في جوهانسبورغ، وقد تركا المزرعة لولديهما».

علقت كيم:

«ان حظهما كبير اذ ملكا مزرعة على هذا القدر من الضخامة وهما لا

يزالان شابين».

«كليف يحب المزرعة كثيراً. اما جاك، فيفضل العمل الفكري».

قالت وهي تتذكر ان فال اطلعها على رغبته بتأليف كتاب:

«مثلك؟».

«اجل. وبالمناسبة، بدأت بتأليف ذلك الكتاب بعد ان اعطاني بارت الارشادات الاساسية اضافة الى لائحة الكتب التي يجب ان اقرأها».

فحذرته قائلة:

«انه عمل شاق للغاية».

«اعرف ذلك. ولعلني سأظل اعمل في الزراعة».

ثم راقبت كيم سوزان وكليف بضع لحظات قبل ان تسأل:

«اتظن ان جاك قد يبيع حصته من المزرعة لكليف – على افتراض ان كليف سيتزوج؟».

اجاب فال وهو يفكر ويتأمل، متابعاً بنظراته اتجاه عيني رفيقته:

«انها فكرة معقولة. ولست اظن جاك سيندم ان هو باع حصته لشقيقه».

«سوزان تحب الزراعة».

سكت فال لحظة فيما نظر الى الشابين الطويلين، اللذين بدا وكأنهما يسيطران على حلبة الرقص. ثم علق مجيباً:

«اعرف ذلك. واعرف انها تعتني بقسم الدواجن بمفردها. واظنها قد تحملت ما فيه الكفاية من قريبتها هذه».

«اتقصد رافيلا؟ لقد امضت وقتاً طويلاً هنا».

حول فال نظره الى وجه كيم الجامد، وقال:

«كان يفترض ان تقضي ستة اسابيع فقط. انها تقطر سماً وحقداً».

لم يخدع فال بمحاولة كيم التحدث عنها باستخفاف:

«اذن، فانت لست من اولئك الذين اعجبوا بمفاتنها؟».

«كلا. انها صنف لا يناسبني ولا يعجبني ابداً».

لم تجب كيم بشيء. وبعد هنيهة بدأت ترقص مع فال. والتقت عيناها بعيني زوجها، فلمحت في وجهه التهكم المرح الذي كان اشد امتاعاً في

السابق. اذن، لم يعد روك يبالي باهتمام فال بزوجته. ومع ذلك، فانه اشار اليه حين وصلا الى البيت عند منتصف الليل اذ تحدث بصوت خلا من اي تعبير تماماً كما خلت عيناه:

«يبدو انك تمتعت بامسيتك مع فال».

ردت كيم فوراً:

«وانت مع رافيلا».

«اوافق».

لم تتمالك كيم نفسها من التعقيب:

«انها لا تروق للجميع».

«هل استنتج من ذلك انك تعنين فال؟».

اطرقت كيم فيما وقفت بقرب النافذة المفتوحة تحدق الى المناظر الصامتة وقد غمرت السكينة الطبيعة. وهنا قالت:

«اجل، اني اعني فال. انه لا يجدها جذابة على الاطلاق».

تقدم زوجها بضع خطوات الى حيث وقفت وهو يسأل:

«هل يظن صديقك ان ذوقي لا يرتقي الى مستوى ذوقه؟».

«يعني، شيء من هذا القبيل».

«اذن.. لقد تحدثتما عني».

استدارت، فرأى روك امتقاع وجهها وهي تؤكد له ببرودة:

«لم يذكر اسمك في الحديث بيني وبين فال».

عقب بعد صمت قصير:

«كيم، ماذا جرى لك؟ انك لست الفتاة التي تتزوج رجلاً لا تحبه».

كان صوته هادئاً. وقد ظهرت فيه رنة اعتذار لم تألفها كيم التي تذكرت غروره بادىء الأمر. فأجابته وهي تتعمد بلهجة عصبية:

«قلت لك... اني... اني كنت مريضة حين وافقت على الزواج منك، او على الأقل كنت اعاني من اثار الحمى. وقد قلت لي بنفسك انني قد ارى الأمور كلها بمنظار خاطىء، وقد فعلت».

سألها بصوت خفيض طغت على نبرته الصرامة والقسوة:

«هل هذا كل ما ترغبين قوله؟ اولست نادمة؟».

استدارت كيم ثانية لتواجه زوجها من جديد:

«طبعاً. اني نادمة امر الندامة لاني تزوجت بك».

فجأة اصبح وجه روك شاحباً شحوب وجه زوجته. وقال:

«يا الهي. لم اتصور اني سأسمعك تتلفظين بمثل هذه الكلمات. ماذا تقترحين ان نفعل؟».

اذعن للأمر؟ هل يمكن ان يرغب في الطلاق منها من دون اثارة ضجة؟ الطلاق... تلألأت عينا كيم بالدمع، لأنها افترضت ان زواجها سوف يكون ابدياً. وقد عرفت دائماً انها لن ترتكب مثل هذا الخطأ اذ لن ترضى ان تتزوج شخصاً لا يحبها من اعماقه. صحيح، هي لا تزال مقيمة على حبه، ومع ذلك، فهي تقر انها ارتكبت خطأ. وسرت بالأذى اللاحق بروك الذي ادى دوراً مقنعاً للغاية جعلها تصدق انه يحبها. وقررت ان تخبره بكل شيء عند رحيل بارت وتعيد على مسمعه كل ما تنصتت اليه بين سوزان ورافيلا. وعاد روك يردد سؤاله بالحاح اكثر من ذي قبل. فأجابت كيم:

«هناك شيء واحد يمكننا فعله».

بلع روك ريقه بصعوبة، وبدا فمه مرتجفاً. الا انها لم تتأكد من ذلك. لقد اضطرب لأن لعبته اخفقت، فهي لن تنجب له الابن الذي يتمناه.

«اوتقترحين ان ننفصل؟».

«انا اقول بأنه يجب ان نطلق بعضنا».

«انا لا اؤمن بالطلاق».

«لم يعد يهم في هذه الأيام اذا كنت تؤمن بالطلاق ام لا. فأنا بامكاني الاستحصال على كتاب الطلاق».

«انت...؟».

صرف اسنانه، فيما واجهته بشجاعة لانها لم تعد تكترث لغضبه الذي لا يحد وقد عانت منه غير مرة. وسيستمر هذا التفاعل بعد... بعد بارت. واوقفت كيم التفكير قبل ان تتشكل في ذهنها الكلمة المخيفة. فقط لو انها تستطيع قضاء هذه الاشهر القليلة الباقية مع بارت. الا ان القضية تكمن في انه يجب ان يكون بارت سعيداً باعتقاده ان كيم سعيدة آمنة مضمونة العيش اليوم وغداً. وظهر انه لا يبالي بزواجها من شخص لا يحبها. وتذكرت بوضوح كلمات رافيلا، الكلمات التي نقلتها من حديث روك الى

بارت... كيم تنفع مثل اي فتاة اخرى».

هنا فقد التماسك والانسجام في القصة، وظهرت احدى قطع او اجزاء الصورة غريبة كلياً. فبارت لم يكن ليوافق ابداً على زواجها لو ان روك قال مثل هذا الشيء. لا. لا بالفعل. فبارت يحبها كثيراً. هل يمكن ان تكذب رافيلا؟ كانت الفكرة سخيفة لأن الكذب لم ولن يفيد الفتاة بشيء. والأمر لم يكن كمن يتحدث الى كيم نفسها بنية خبيثة تقضي ابلاغها ان زوجها لم يقترن بها عن حب. لا، فرافيلا كانت تتحدث الى سوزان، وهي على دراية تامة ان سوزان لن تبوح بكلمة، بل ستحتفظ بالقصة كاملة لنفسها.

وعبست بعد ان تنبهت لأمر آخر لا يتلاءم مع الرواية. فكيم نفسها تركت طاولة العشاء بسرعة رغبة في الوحدة بينما كانت رافيلا تتحدث الى روك... ومع ذلك، رأتها في الحديقة بعد دقائق معدودة تكلم سوزان على الجانب الآخر للسياج. الا ان صوت روك قطع عليها تأملاتها، فنظرت اليه وهو يقول:

«كيم، بماذا تفكرين؟».

اقرت والعبوس والحيرة ما زالا يجعدان جبهتها:

«كنت احاول حل لغز ما».

«اي لغز حاولت حله؟».

هزت كيم رأسها بارتباك وقالت:

«ليس بامكانك مساعدتي».

قال بصورة مقنعة:

«بامكانك ان تجربيني».

«هل تذكر انك تحدثت الى رافيلا على طاولة العشاء في ليلة حفلة الميلاد الراقصة في النادي؟».

بدا روك مندهشاً كما كان يفترض فيه. واجاب:

«لست ادري ماذا تقصدين يا كيم».

ردت بسرعة قبل ان يقاطعها:

«هذا لا يهم...».

«بل يهم. من الواضح ان لهذا الأمر بعض الأهمية، والا لما حاولت حله كما تقولين».

«الا تستطيع ان تتذكر الحادث؟».

عقد روك حاجبيه الانيقين في محاولة للتركيز:

«على طاولة العشاء. . . ؟ آه. . اجل. . . لقد كنت تجلسين بجانبي من الجهة الاخرى وتتحدثين الى فال».

«هذا صحيح. هل تذكر ماذا حدث بعد ان تركت الطاولة؟».

«اختفيت فجأة. فقد كنت بجانبي لحظة، وفي اللحظة التالية اختفيت».

علقت بعصبية:

«لا اقصد نفسي بالسؤال، ماذا فعلت رافيلا؟».

نظر اليها روك مستغرباً حتى ظنت انه يعتقدها فقدت صوابها، وسأل:

«رافيلا؟».

«لا بد انها غادرت الطاولة بسرعة ايضاً».

«كيم، ماذا تحاولين ان تبرهني؟».

وتنهدت من اعماقها متمنية لو انها لم تثق به:

«كنت اتساءل عن مدى السرعة التي تركت بها رافيلا الطاولة».

«لا بد ان هناك سبباً مهماً لذلك».

«اجل. . . اجل».

اتقدت عيناه بشرر مخيف:

«الا يمكنك ان تكوني اكثر وضوحاً يا كيم؟».

لقد اراد ان يعرف. الا ان كيم هزت رأسها واكدت ان القضية شخصية. واضافت:

«بامكاني ان اقول هذا فقط. اود ان اعرف كيف خرجت رافيلا مع سوزان الى الحديقة بهذه السرعة بعد ان تركت الطاولة».

تنهد روك بيأس:

«بحق السماء يا كيم كفي عن هذا الغموض».

استدارت نحو النافذة ثانية وهي تصارع الشكوك. وقالت ببرودة:

«اني آسفة».

لقد تيقنت من عدم فهمها لأمور كثيرة، وان ما بدا واضحاً وجلياً، كان

في الحقيقة مربكاً ومحيراً. لكنها استنتجت ان رافيلا نهضت فور مغادرة كيم للطاولة. ثم التقت سوزان، ابنة عمتها، وقالت لها ان لديها ما تطلعها عليه. واقنعتها بالخروج معها الى الحديقة. وبدا غريباً ان تتخل رافيلا عن روك على هذا النحو. وواضح ان ليس باستطاعة روك تذكر الحادث الا ان ذلك في الحقيقة لا يهم. فكيم تعرف ماذا حدث. ولكن، لماذا العجلة. . . ؟ فجأة تجمدت كيم اذ خطرت لها فكرة. لقد ارادت رافيلا ان تسمع كيم ما كانت ستقوله. وعلى اساس هذه الفكرة تبلورت فكرة اخرى بسرعة. لم يكن انطباع كيم عن تنصت وحتى استراقها النظر عبر السياج وهماً. فهو خاطر ليس سخيفاً على الاطلاق.

لقد ارادت رافيلا لكيم ان تسترق السمع اليها. . . وقد خططت لذلك. لماذا؟ قررت كيم بمرارة ان الاجابة ليست صعبة. فرافيلا تمنت الحصول على روك. ولما اكتشفت عن طريق التنصت ان روك تزوج كيم لتلبية حاجاته وحاجات بارت على حد سواء، وجدت الفرصة سانحة لاستعادته. وبغية تعزيز مركزها، قررت العمل على احداث شرخ بين روك وزوجته. حينئذ صاحت كيم بينها وبين نفسها: «لا. لا يمكن ان تكون خبيثة ولئيمة الى هذا الحد».

غير ان كيم ادركت انها مصيبة في بعض تخميناتها، كما اخطأت في البعض الآخر. فلو عرفت كيم انها تتنصت عليها، لأمكنها ان تضيف كذبة او كذبتين حتى تبدو الأمور اسوأ مما هي في الواقع. والكذبة دارت حول قول روك لبارت انها تصلح للانجاب مثل اي فتاة اخرى. قالت ذلك حتى تسمعه كيم، فتشعر بالذل. وبذلك تتأكد رافيلا ان كيم ستنقلب على زوجها.

وقال روك بلطف وحماسة متسائلاً:

«كيم، ارجوك قولي بماذا تفكرين. فأنا اشعر انك لو فعلت لانجلى بعض الغموض».

كم كان محقاً. ولكن، ليس باستطاعتها ان تخبره شيئاً وذلك لأن سعادة بارت واطمئنانه وتحرره من القلق في هذا الوقت كان بالغ الأهمية بالنسبة اليها. من هنا لم ترغب في مخاطرة قد تدفع بروك للذهاب الى بارت وابلاغه انها تعرف كل شيء. وقالت لنفسها همساً: «لا اظنه سيفعل، لانه يهتم

بيارت ويقلق عليه مثلي. لكني لن اخاطر لاني في اي حال لن اربح شيئاً في اطلاع روك على ما علمته».

انقضى اسبوع آخر. وتعاظم حر كانون الثاني (يناير) مع هطول الامطار الغزيرة التي خربت ازهار الحديقة. واعد بارت لرحلته. ولما سألته كيم عن وجهته، ارتبكت قليلاً لجوابه المبهم. وقالت له:

«لا تبدو متحمساً كما يجب. ما هي الترتيبات الفعلية التي اتخذتها؟».

ثم لاحظت امتقاع وجهه وزرقة فمه، فانقبض قلبها وتملكها اليأس. هذه هي الخاتمة. . . وخطر لها فجأة ان الطبيب اخطأ. لكنها تذكرت انه لو كان هناك اي احتمال من هذا النوع، لأصر روك على رأي اخر ولفعل كل ما في وسعه لانقاذ حياة بارت الذي قدر صداقته حق قدرها. هنا اجاب بارت:

«ان روك يهتم باموري هذه كلها يا عزيزتي. وقد احضر لي كراساً من مكتب وكيل السفر في تنغافيل. ولكن، يا الهي، اين وضعته؟ آه، اجل. انه في الدرج الأعلى من مكتبي. لعلك تحضرينه لنتأمله سوياً. فكرة ممتعة، اليس كذلك؟».

لم تشعر كيم بحماسته. بيد انها فعلت ما امرها به، واحضرت الكراسة اللامعة من الدرج. ثم وضعتها على الطاولة وفتحتها قائلة:

«ها هي».

«سأطير اولاً الى جوهانسبورغ. . . وسيوصلني روك الى المطار. ولكن من الواضح انه اخبرك عن ذلك».

اطرقت وهي تفكر انه حزم امتعته في حقيبة واحدة. حقيبة واحدة. . . صحيح انها كبيرة، لكن كيم تتصور ان ما تحمله من ملابس ستكون كافية اذا نوى اخذها فقط. ثم اضاف مبتسماً:

«اجل. سأطير الى جوهانسبورغ. ومن هناك نبدأ رحلة الصيد هذه في اليوم التالي حين سنركب احد الجيبات المرقطة. . .».

وهنا اشار الى احد الرسوم واضاف:

«ثم نقضي الليل في فندق اخر قرب منتزه كورغر القومي. وفي اليوم التالي. . .».

توقف ليقرأ تعليمات الكراسة:

«آه. سنجتاز المنتزه لنرى الحيوانات مثل الحمار الوحشي والزرافة وفرس النهر وكثير غيرها. وفي الغد نسافر الى سوازيلاند لنتأمل المشاهد الرائعة».

ومضى يشرح تفاصيل الرحلة وهو يقرأ الكراسة التي ذكرت انهم سيرجعون الى اراضي قبيلة زولو الافريقية حيث يبيتون ليلة في فندق خاص برحلات الصيد.

«يبدو ان احتياطيات الصيد في هذه البلاد كبيرة ومغرية في الحقيقة، الا توافقين في ذلك؟ ومن الطبيعي ان هنالك اشياء عدا الحيوانات يجب رؤيتها. خذي واقرأي بنفسك وسوف تكونين فكرة اوضح».

قالت وهي تنظر الى الكراسة، التي دفعها اليها عبر الطاولة:

«كم اتمنى لو اذهب معك. فأنا لا اطيق فكرة ذهابك بمفردك».

«سوف اكون مع مجموعة كبيرة من الرفاق. وبامكانك ان تكتشفي بنفسك ان هذه رحلة منظمة».

اطرقت وهي تعقب:

«لا زلت اشعر ببعض القلق يا بارت».

كم صعب عليها التظاهر بالجهل. فقط، لو انها استطاعت ان تقول:

«اعرف ان قلبك ضعيف ولذا اريد مرافقتك حتى اعتني بك».

لكنها بالطبع لا تستطيع. لقد ذهب شوطاً بعيداً في اخفاء الحقيقة عنها لرغبته في انقاذها من الألم. لا شك انها ستتعذب في ما بعد، الا ان بارت اقتنع ان زوجها سيوفر لها الراحة والطمأنينة بحيث يخفف من وقع الصدمة عليها. وبعد ان فكرت كيم هنيهة بدور بارت في اقناع روك بان يتزوجها بدأت تتساءل اذا لم يبذل روك اي جهد في اقناع بارت بانه يحب كيم. لكنها في اي حال لا تضع روك فوق الشبهات وهي تعلم قدر بارت عنده. وتأخر جواب بارت لكنه اتى اخيراً:

«لا داعي للقلق ابداً. واني اؤكد لك اني سأعتني بصحتي تمام العناية. اما الآن، فمن الأفضل ان تذهبي يا كيم حتى لا يحتج روك علي ويدعي اني اتعبك».

«لن يفعل ذلك لعلمه انك لا تتعبني».

«هذا ما فعلته في الاسبوعين الأخيرين. غير اننا نظمنا شؤون هذا

الفصل في نهاية المطاف. وهكذا سأذهب مرتاح البال».

وغرق في شرود بدا معه انه ليس في مسكن كاتانيا حالياً، بل في رحلة الصيد ذاتها. ووافقت كيم على رأيه:

«علي الذهاب كما تقول».

حاولت ان تخفي رنة الكآبة من صوتها رغم صعوبة الظهور بمظهر المرح في وقت عصر الألم قلبها. وتحدثت الى روك عن مسألة الطلاق بعد بضعة ايام من ذكرها للمرة الأولى. فغضب لانها اقفلت الموضوع وقد قررت ان بامكانها فعل كل شيء بعد ان تتركه وتطير عائدة الى بلادها. وفيما خرجت الى الشرفة، ودعت بارت:

«الوداع يا بارت. سأوافيك في الغد كالعادة».

ثم اتجهت نحو الاصطبل. وابتسمت لسامي اذ رأته ينظر من البوابة. وخاطبته:

«هل انت مسرور لرؤيتي؟ يا لك من حيوان لطيف ذكي. لقد جعلت بارت يظن اننا اصدقاء».

صهل الحصان فيما امتطت كيم صهوته. فانحنت لتربت عنقه وقد اغرورقت عيناها بالدموع اذ فكرت انها ستضطر ان تخلفه وراءها. ولكن، لعل هنالك طريقة تسهل عليها اصطحابه معها. وهي ستجري بعض التحريات في ما بعد.

ولما وصلت الى مسكن لوساك وجدت روك واقفاً على الشرفة والتقطت انفاسها بينما وجه رأسه نحوها وقال وهو يهبط السلم بقفزة واحدة طويلة:

«سأعتني لك بسامي. هل انت متعبة؟».

«كلا. فنحن لم نعمل كثيراً اليوم لأن الفصل اصبح على ما يرام اخر الأمر».

«عظيم. لا شك ان بارت سيطمئن ويرتاح».

ثم مضى وسامي يتبعه فيما امسك لجامه برقة. اما كيم، فرافقتهما بقلب خافق. آه، لو كان روك فقط يحبها. انه لطيف احياناً. وافترضت انه كان بامكانهما ان يعيشا سعيدين لو انها لم تطلع على الحقيقة بواسطة رافيلا. فروك لن يدعها تحس ولو لمرة انه لا يحبها. لا، بل العكس هو الصحيح. وهو دائماً يتظاهر انه يحبها كثيراً. وكثيراً ما قال لها ذلك. اجل، انه ممثل

بارع. . . انما، ما فائدة كل ذلك اذا كان لا يحبها؟ فهو قد يلتقي ذات يوم فتاة اخرى ويقع في هواها. وماذا يحل بكيم حينئذ؟ ثم الحق باذيته لها قوله انه لا يؤمن بالطلاق علماً بانه لن يتردد في طلبه ان هو عشق فتاة اخرى.

وقالت كيم لدى رجوع زوجها:

«هل يمكنني ان اذهب مع بارت في رحلة الصيد؟».

هز رأسه فوراً:

«لا هو ولا انا نريدك ان تذهبي».

كانت لهجته صارمة، ووجهه متوتراً، فعضت كيم شفتها وهي تتمنى لو كانت حرة في اتخاذ قراراتها. وقالت مرتجفة:

«اني قلقة عليه. فعليه. . . عليه ان يتناول تلك الحبوب التي يصفها بمهدئات عامة. . .».

وصمتت لخوفها ان تكشف كل ما علمته ان هي تابعت حديثها. فرد عليها:

«لا داعي بان تشغلي بالك حول بارت لانه سيأخذ الحبوب بانتظام».

«من المحتمل ان ينسى لانه اصبح كثير الشرود».

عندئذ سينهار. وارتعش فم كيم بصورة تملأ القلب شفقة. وفيما تطلعت الى عيني روك، اغرورقت عيناها بالدموع، اذ رأته يبلع ريقه وفهمت انه يرثي لحالها. لو عانقها روك في هذه اللحظة، لاجهشت بالبكاء واخبرته كل ما تعرف، واكدت له ان حالة بارت الفعلية ليست خافية عنها. الا ان روك ظل واقفاً بجانب درابزين الشرفة وقد تقلصت عضلات فمه وخلت عيناه من اي تعبير. واخيراً تنهد قائلاً:

«بامكاني فقط التأكيد بانه سيكون بخير».

واستدار مبتعداً بينما تكون لدى كيم انطباع بانه يخفي امراً ما. ولكن، قبل ان تتمكن من المشي، عاد ليسألها بلطف اذا كانت ترغب في تناول العشاء في النادي. فاخذت تهز رأسها الى ان سمعت نفسها تقول:

«هذا . . . هذا رائع».

«هيا اذن. ارتدي ثوبك الليلكي الانيق».

وبينما نهضت كيم عن كرسيها، حدّقت الى روك. فالتقت عيونهما برهة خيل لها فيها انها لمحت في عينيه اسى، حباً عميقاً مخلصاً. ولكن، ما ان

اشاح بنظره بعيداً، حتى لم تعد ترى سوى المرارة على فمه.

واستحمت، وارتدت ثوبها الليلكي. فلمع شعرها، وتوردت شفتاها. ثم استعملت عطرها وحملت حقيبتها المسائية المفضلة وعباءتها قبل ان تخرج من غرفة نومها الى قاعة الاستقبال لتنتظر روك، الذي سرعان ما خرج يرتدي بزة صيد بيضاء وبنطال كتان كحلي. وقال بلهجة باردة برغم ما في ذوقه من رقي:

«انك تبدين غاية في الفتنة».

ادركت انه كان فخوراً بمرافقتها له. ثم ركبا السيارة التي اندفعت بهدوء عبر الممر المؤدي الى مسكنها، وقد تلألأت تحت اضوائها الأمامية الاشجار المختلفة التي احاطت بالطريق مثل اشجار الصمغية القصيرة المليئة بالازهار والحور النحيلة الطويلة وغيرها علاوة على الزهور التي زرعت عند حافتي الدرب ومنها زنابق القنا الاستوائية والدفل والورود وحوذان السياج الاصفر. وعبق نسيم الليل بالاريج، فيما حفل باصوات الزيزان التي طغت على هدير السيارة عندما توقفت قرب البوابة قبل ان تنحرف الى الشارع المظلم.

قاد روك السيارة بصمت، فيما ندمت كيم على موافقتها على الخروج معه. صحيح ان الوضع اختلف عن تصورها الاصلي، الا انها شعرت بوجود شكوك وجب ان تنتبه لها في الاساس، وان لا تتسرع في الزواج به بالتالي. لقد تصرفت بتهور حيث كان روك في عجلة من امره حين اعلن انه لن يستطيع انتظارها في حين سعى الى طمأنة بارت في الحقيقة.

ولما وصلا الى النادي، اوقف روك السيارة وساعد زوجته على الخروج ثم على صعود السلم المؤدي الى البهو وهو يمسك بيدها. ولم يوجد في النادي سوى حفنة من الناس، الأمر الذي سمح لروك وكيم باختيار طاولتهما. وقال روك:

«نريد ان نجلس هناك، في الخلوة التي تظللها اشجار النخيل».

كان الموضع بعيداً عن انظار الجميع، ويوحي بالدفء والالفة..

وفجأة شعرت برغبة في البكاء على كل ما قد كان. وقال النادل مبتسماً:

«حسناً، هل ترغبان بشراب اول الأمر، علماً بانكما تجلسان في البهو؟».

«بالطبع».

وجلسا فيما قدمت اليهما لائحة الاطعمة. وعرض روك طلبهما. وطوال الوقت ركزت كيم فكرها على خاطرة طرأت على بالها. وتساءلت هل يمكن تحقيق فكرتها في هذه المرحلة المتأخرة؟ ونظرت الى زوجها عبر الطاولة المغطاة بالزجاج بعد ان قطع عليها بصوته الهادىء الخطة التي لم ترسم سوى نصفها:

«بماذا تفكرين يا كيم؟».

«ببارت ورحلة الصيد... هل... هل كان عليك ان تجري ترتيبات الرحلة قبل بدايتها بوقت طويل؟».

«كلا. لم يكن الوقت طويلاً لان وكيل السفر اخبرني ان هنالك كثيراً من المقاعد الشاغرة».

غرقت كيم في التفكير قبل ان تنحني وترفع كوبها:

«فهمت...».

«ايام قليلة اخرى وسيطير».

لم يعرف روك الا القليل عما دار في خلدها وهي تقول:

«اجل. لا شك انه سيفرح كثيراً بكل الحيوانات لانه كان دائماً يريد ان يراها في مواطنها الطبيعية».

فاطرقا، ثم تحادثا قرابة عشر دقائق قبل ان يدخلا لتناول العشاء، الذي وجداه امتع الوجبات التي تناولاها سوياً. ولانت كيم، فيما صمت روك رغم استعداده للتحدث كلما كلمته كيم.

اتسمت عودتهما الى لوساكا ببرودة الجو وظلمته وبالالفة بينهما. وتصورت كيم شعورها عند مغادرتها هذا البلد الذي احبته والذي ظنت لوقت قصير انها ستعيش فيه حتى وفاتها. وسأل روك بصوت فيه رنة قلق تصف عدم ثقته في ما اذا كانت نادمة او راضية عن خروجها معه:

«هل استمتعت بهذه الأمسية؟».

«كثيراً يا روك».

فحدق في عينيها الجميلتين وردد بحنو:

«انا سعيد بذلك يا حبيبتي كيم، اتمنى لو اعرف ما الذي ازعجك».

تشنجت كيم، وخنقتها الحقيقة الجارحة بانه لم يكن يحبها. فقالت بحدة:

«تصبح على خير يا روك. سأراك في الصباح».

وترددت لأنها لم ترغبه طوال الليالي التي شغلا فيها غرفاً منفصلة قدر ما رغبته الليلة، وتاقت الى ان ترتاح بين ذراعيه. . . ولكن على ان لا يخلو لقاؤهما من الحب. لا، فهي لن تستسلم له ثانية بارادتها. بامكانه ان يمتلكها وهو غاضب. بيد انه لن يجعلها تستسلم له ثانية بارادتها. واخيراً اجابها:

«تصبحين على خير يا كيم. ارجو لك نوماً هانئاً».

١٠ - رنّة الحب

قصدت كيم تنغافيل باكراً في صباح اليوم التالي بعد ان اتجهت اولاً الى مسكن كاتانيا لاستئذان بارت في شراء بعض الحاجيات.

«بالطبع يمكنك ان تذهبي يا عزيزتي لأن ليس هناك سوى القليل من العمل بعد ان انتهى الفصل بصورة ترضيني».

«ولكن، يبقى علي ان ارتب بقية ملاحظاتك، واعد البحث الذي طلبته مني».

«أمامك وقت كاف لذلك كله اثناء غيابي. اما الآن، فاذهبي واشتري حاجاتك».

قادت كيم السيارة الى داخل المدينة حيث اوقفتها واسرعت الى مكتب وكيل السفر الذي تحمس للعمل بينما شك باحتمال ادراج اسم كيم في قائمة الرحلة نظراً الى قصر الوقت.

غير انه وعد كيم بان يحاول جهده. فقالت انها ستحضر بعد ظهر اليوم التالي لترى اذا تكللت جهوده بالنجاح. فأجابها:

«الأفضل ان تأتي يوم الخميس. انا اعرف ان الرحلة تبدأ يوم السبت، الا انك ستجدين متسعاً من الوقت لتهيئة نفسك. واستطيع يوم الخميس ان اخبرك اذا كنت قد حصلت على تذكرة السفر ام لا. والا فبامكاني الحصول عليها يوم الجمعة».

اطرقت. ثم قالت بعد تردد:

«ارجوك الا تخبر احداً بأني سارافق السيد ناش في هذه الرحلة. . . انها. . . انها ستكون مفاجأة له».

رفع الرجل بصره عن الكراسة التي دون فيها المعلومات. وانكشف ارتباكه. الا انه تنبه الى ضرورة عدم طرح الاسئلة نتيجة الجمود الذي ظهر على وجه كيم. واجابها:

«حسناً. سأتذكر رغبتك».

«اشكرك».

الأمتعة... انها مشكلة، مشكلة كبيرة... الا انه بالامكان تذليلها. ولما عادت الى مسكن كاتانيا، اعلنت:

«لا تكفيك حقيبة واحدة من الملابس. ولذا ساحزم حقيبة ثانية».

«كيم، يا عزيزتي، اؤكد لك ان حقيبة واحدة كافية».

واشاح بوجهه عنها وقد غطاه بيده. واربكها تصرفه اذ بدا وكأنه يخفي عنها تعابير وجهه. لكنها قالت:

«انا اصر على رأيي يا بارت. ولا تنس اني اعرف عاداتك واعرف انك ترغب في ملابسك كثيراً لا سيما الداخلية منها».

«حسناً. احزمي لي حقيبة اخرى اذا كان لا بد من ذلك فعلاً».

هكذا وجب شحن حقيبتين في السيارة صباح السبت عند وصول روك وكيم الى منزل بارت. فعبس روك:

«حقيبتان؟».

وادركت كيم نتيجة اقتضابه وحدة نبرته انه تمنع عن قول اشياء كثيرة. واجاب بارت بوداعة:

«اجل. كيم اصرت على انني لم آخذ ما يكفيني من الثياب. لذا خضعت لطلبها. وارجو ان تضع الحقيبتين في السيارة يا روك».

ولدى وصولهم الى المطار اصطحب روك كلا من كيم وبارت نحو البهو حيث قدم لهما شراباً. ولم تستطع كيم ان تمسك الكوب بثبات لشدة خفقان قلبها. هل يمكن ان تنجح خطتها؟ كثيراً ما رأت اناساً يصعدون الطائرة في الدقيقة الاخيرة. اذن، ستنجح خطتها برغم القوانين التي تفترض حضورها الى الطائرة باكراً. وقال روك بقلق:

«ارى انك شاحبة. سأكون بخير. فكفي عن القلق».

قالت دون ان تنظر الى اي منهما:

«اشعر بانقباض في معدتي. ولذا ساذهب الى المرحاض. فلا تقلقا».

«آه. اني آسف. فانت تزعجين نفسك وترهقينها كثيراً بهذه الطريقة. ولا داعي لكل هذا التعب على الاطلاق».

«لا تخف، فسأكون بخير. اظن ان ما اصابني ليس خطراً، انما هو اضطراب اعصاب».

«انه اضطراب اعصاب حقاً».

واقل ما يقال في خطتها انها خطة مفككة الأوصال. فقد حصلت على تذكرة سفر تخولها الاشتراك في الرحلة. اما ملابسها، - وهي حاجيات اساسية قليلة - فكانت في طريقها الى الطائرة الآن. وهكذا تم الجزء الأول من خطتها بنجاح. على انه مر في ظرف حرج حين اراد بارت ان يفتش الحقيبة الثانية، فقالت له:

«لا داعي للبحث داخلها لأن كل ما فيها مجرد حاجيات».

«حسناً. لقد اصبحت آمرة ناهية منذ تزوجت».

والجزء الثاني من خطة كيم هو الذي اقلقها. لقد اصبحت تحركاتها على الأقل واضحة في ذهنها. اما تحركات الرجلين الآخرين، فهي التي لسوء الحظ ازعجتها. الا انها قالت مازحة بعد ان فرغوا من شرابهم:

«لن ننتظر كثيراً حتى نودعك يا بارت. فأنت تعرف كراهيتي لرؤية الطائرات تقلع وتهبط».

اجابها وقد عزم ان يقول انه لن يحتمل رؤيتها يودعانه:

«اعرف بالطبع».

«سننتظر حتى يعلن عن رقم رحلة طيرانك».

ومن حسن الحظ انهم اتفقوا على هذا الترتيب. فكل ما على كيم الآن هو التظاهر بالمرض بعد ان يتركها بارت. وستحذر روك بانها ستتأخر في دورة المياه قليلاً، وتطلب اليه انتظارها في السيارة.

اجتازت كيم المسافة التي تفصلها عن الطائرة مرتين، ولكنها لم تر اثراً لبارت. ثم دخلت الطائرة خلسة وقد خفضت رأسها على رغم ان خبرتها الواسعة اكدت لها ان بارت يزرع رأسه في كتاب. وقد اعتاد ان يبدأ بالقراءة فور صعوده الى الطائرة، ولا يتوقف عنها حتى يصبحوا على علو

شاهق في الجو. ولم يعترف، ولو لمرة، انه يخشى الاقلاع. غير ان كيم عرفت ذلك. «واين يمكن ان يكون قد ذهب فانا لم اره يدخل المرحاض».

جلست وقد انقبضت معدتها فعلاً الآن. وانتظرته لظنها انه في احدى دورات المياه وقد دخلها حين لم تكن تبحث عنه. وامرت نفسها بأن تهدأ وتستريح. وتصورت لدقيقة او دقيقتين ردة فعل روك حين يعلم انها على متن الطائرة، وانها سترافق بارت في رحلته. وقد تركت له رسالة على لوح الاستعلامات. لكنه، في اي حال، سيتلقى برقية منها وهي في الجو. وتأكدت كيم من ذلك حتى لا يقلق. ومن نافل القول انه سيغضب اشد الغضب، على ان ذلك لن يهم كيم بشيء لانها رغبت في مرافقة رب عملها والاعتناء به عناية جيدة اثناء رحلته. ولكن، اين هو؟

واخيراً، اومأت كيم الى احدى المضيفات، وكلمتها بسرعة. فمضت الفتاة فوراً ثم عادت بعد عشر دقائق تقول ان لا احد على متن الطائرة يحمل اسم بارت ناش. فطرفت عينا كيم، ودخل فكرها في دوامة. وليس على متن الطائرة؟ لا بد ان يكون. انه سينضم الى رحلة صيد تنطلق من جوهانسبورغ».

اضطربت الفتاة وقالت لكيم، التي هزت رأسها:

«لا شك انه تأخر عن الطائرة».

«لكنه حضر الى المطار قبل وقت طويل».

وحانت من الفتاة التفاتة من فوق كتفها فيما جرت عربة الاطعمة في الممر بين المقاعد:

«هل انت واثقة انه ركب الطائرة؟».

«اجل...».

صمتت كيم وقد علا وجهها التجهم قبل ان تضيف:

«لقد رافقته انا وزوجي وتركناه عندما اعلن عن رحلته».

«واذن، فانت لا تعرفين اذا كان قد ركب طائرة ام لا».

همست كيم وهي تفكر:

«كلا. لست...».

وكان على الفتاة ان تنقل من مكانها. فاعتذرت قبل تحركها. وبقيت كيم غارقة في تفكر عميق. هذه الحقيبة الواحدة. لم يكن بارت في ذلك كما

عرفته. انها لا تكفيه لاسبوعين. ربما لاسبوع...

وتطلعت الى الفتاة بعد ان تجاوزت العربة مقعد كيم. اما الفتاة، فتطلعت الى كيم محتارة:

«هل قلت انك كنت انت وزوجك مع السيد ناش؟ لماذا لم تصعدا معاً، هذا اذا كنتما بصحبة الرجل؟».

وهزت الفتاة كتفيها بارتباك. وبالطبع لم يكن بوسع كيم ان توضح لها الأمر، بل سألت اذا كان هناك طائرة اخرى ستقلع في موعد اقلاع طائرتهم.

«اقلعت طائرة باتجاه دربان. وهذا كل شيء. فالمطار صغير كما تعلمين».

دربان؟ من المستحيل ان يكون بارت قد ذهب الى دربان. وعلاوة على ذلك، ما الهدف من ابلاغها انه ينوي الاشتراك في رحلة صيد، الا اذا لم يكن ينوي ذلك اصلاً؟ ابتسمت كيم وعادت تفكر بقضية الحقيبة الواحدة. وتذكرت انه لم يقرأ كثيراً عن رحلة الصيد، الأمر الذي يتنافى مع طبيعة بارت وهو الذي الف ان يوسع معلوماته عن اي بلد كان ينوي زيارته وعن اي رحلة عزم على القيام بها. واستعادت ايضاً دهشة روك عندما رأى الحقيبتين. لقد اتضح انه توقع رؤية حقيبة واحدة - ولكن، لماذا واحدة؟

وداخل كيم خوف مفاجىء اذ خيل لها ان الاسرار تكتنف حياتها في هذه الأيام. ومن المؤكد ان هنالك سراً حول قضية الصيد هذه. لقد عملت مع بارت فترة طويلة سمحت لها ان تعرف دقته في حرصه على معرفة كل التفاصيل الصغيرة المتصلة بترتيبات سفره.

وهو آخر من يمكن ان يركب الطائرة الخطأ حتى ولو كان ذلك محتملاً.

وقفت كيم امام فندق لاندروست في جوهانسبورغ وقد املت ان ترى بفعل معجزة سماوية رب عملها في الداخل حيث سيلتقي المشتركون في رحلة الصيد قبل ان ينضم اليهم الدليل. ثم دخلت، وقصدت المكتب حيث عرفت باسمها. وكان الدليل يقف قبالتها، فاتجهت اليه حالاً. كان شاباً افريقياً طويلاً يتكلم الانكليزية بطلاقة تامة. اوضحت كيم له الأمر.

فلدقق في لائحة الاسماء قبل ان تراه كيم يهز رأسه. وعرفت كيم ماذا سيقول قبل ان ينطق:

«ليس عندنا بين المشتركين شخص باسم بارت ناش. ماذا حدث؟ علي ان اساعدك اذا كنت استطيع ذلك».

اجابت كيم بتعب:

«اريد ان ارجع الى بيتي. هذا كل شيء».

«الن ترافقينا؟ ولكن، اعلمي يا آنسة مايسون ان نقودك لن ترد اليك في هذه المرحلة المتأخرة».

«لا يهم».

وانتابها تعب شديد فيما تقبلت خداع بارت وروك وقد احتارت، كما ادركت بالغريزة ان بارت يعرفها اينما وجدها. وعلى رغم هذا الاعتقاد، لم يكن في وسعها ان تشارك في رحلة الصيد بمفردها اذ لا طائل من وراء ذلك علماً بانها اقرت ان الصورة بدت اكثر اشراقاً وجاذبية لبضع ساعات خلت، اي عندما ركبت الطائرة وهي تتوقع ان تلتقي بارت وجهاً لوجه في اي لحظة.

«علي ان اعود الى منزلي باقصى سرعة».

ولدى عودتها، سيكون لديها الكثير مما تقوله لزوجها. فهي ترى انه وبارت تصرفا بخسة تجاهها وخدعاها. وللمرة الاولى خلال سنوات وصلت الى حد من اليأس اعترفت معه انها في الحقيقة ليست سوى موظفة وان لا شيء يلزم رب عملها باطلاعها على تحركاته. وقال الدليل:

«حسناً يا آنسة مايسون. اذا كنت تصرين على العودة، فسأعمل على ترتيب سفرك».

التفتت اليه كيم بامتنان وقالت:

«اشكرك كثيراً. انك لطيف للغاية».

«لا داعي للشكر. غير اني آسف لعدم اقتناعك بمرافقتنا».

وارتاحت كيم لانه لم يحاول زيادة ضغطه عليها وهو يضيف:

«ولكن، الى ان تعودي، عليك استئجار غرفة تبيتين فيها ليلتك كما لو انك كنت ترافقينا».

وصعدت كيم للتو. ونامت نوماً متقطعاً من دون ان تكلف نفسها عناء

النزول لتناول العشاء. وفي الصباح التالي، اعلمت انها لن تستطيع العودة قبل ثلاثة ايام. فهتفت مرتعبة:

«ثلاثة ايام. ما هذا؟».

رد الدليل:

«ليس هنالك اي رحلة طيران قبل ذلك».

عضت كيم شفتها بقسوة وهي تصد دموع الاحباط والخوف التي تجمعت في مؤخر عينيها. اين هو بارت؟ آه، لا شك انه سالم ومعافى. وروك يعرف مكانه.

ولما عادت الى غرفة نومها، قالت بلهجة حادة: «اني اكره روك. كيف يجرؤ ان يخدعني هكذا؟».

وانتصبت واقفة اذ سمعت قرعاً خفيفاً على الباب. فصاحت:

«تفضل».

دخلت خادمة ملونة تحمل برقية. فقرأتها كيم وقالت:

«اشكرك».

وبعد ثلاث دقائق تحدثت عبر الهاتف مع زوجها، الذي سأل بغضب:

«اخبريني بحق السماء ماذا تقصدين بتصرفك المجنون هذا؟».

ردت عليه بغضب يعادل غضبه:

«وبحق الشيطان قل لي ايضاً ماذا تقصد انت وبارت بخداعكما لي؟ اين هو؟».

«لا تخافي ولا تقلقي».

«اين هو؟».

لا جواب. شعرت كيم ان دقات قلبها ستتوقف. واخافها نبض قلبها المتسارع كثيراً. فسألت:

«انه... انه ليس...».

كلا. انه بخير. لقد عرفت انه بخير. وعادت تقول:

«اصر ان اعرف اين هو».

«كيم، ساحضر اليك اليوم. لقد تسلمت اشعاراً يفيد باني حجزت مقعداً على الطائرة المتجهة الى جوهانسبورغ. وانا الآن في فندق قريب من المطار».

صاحت كيم على نحو هستيري:

«اين هو بارت؟ هل تظن اني اكترث سواء كنت ستحضر الى هنا ام لا لتصطحبني الى البيت؟ انني سأركب الطائرة بعد ثلاثة ايام. ولذا لا سبب لتجهد نفسك بالقدوم الي. ان كل ما يهمني هو معرفة مكان بارت. ما الهدف من السرية؟ اريد ان اعرف اين هو».

«حسناً. سأخون عهداً قطعته له، لكني اشعر اني معذور. لقد دخل بارت مستشفى في دربان حيث سيجري عملية جراحية لقلبه».

ساد صمت طويل معبر قبل ان تصيح كيم وهي ترتجف:

«المستشفى؟ لماذا... لماذا لم... لم تخبراني انتما - انتما الاثنين بذلك؟».

«هذه هي رغبة بارت. لم يرد ان يزعجك بعد زواجك مباشرة».

وصمت قليلاً قبل ان يضيف:

«سأشرح لك يا كيم كل شيء يتعلق بالقضية عندما اراك لاحقاً اليوم. وحسب تقديراتي، سأكون معك في وقت العشاء».

«حسناً».

اعادت كيم السماعة الى موضعها. ولم تفه باي كلمة اخرى. ثم تساءلت كيف عرف روك مكانها. وسرعان ما ادركت ان عليه ان يقصد مكتب وكيل السفر، فيحصل منه على كراسة تقول بان الرحلة تنطلق من فندق لاندروست في جوهانسبورغ. ولعله، في اي حال، تذكر ذلك من الكراسة التي احضرها لبارت، هذا اذا كلف نفسه عناء قراءتها. ثم نبذت كيم هذا الاحتمال لسبب واحد هو معرفة روك ان بارت لم ينو القيام برحلة الصيد.

واتصلت كيم بالمستشفى في دربان بعد ان عثر دليل رحلة الصيد على رقمه. وكل ما عرفته هو انه سيخضع للعملية في اليوم التالي. ولم تعط مزيداً من المعلومات.

وصل روك عند السابعة والنصف، فالتقاها في البهو حيث انتظرته. وحياها بغضب:

«ايتها الحمقاء الصغيرة. ماذا قصدت من وراء كل الخوف والغضب الذي سببته لي؟».

اتقدت عيناها غضباً:

«الا تستحي حين تذكر عبارات الخوف والقلق امامي وقد خدعتني بهذه الطريقة واشقيتني في اعداد حقيبة و...».

قاطعها ببرودة:

«هل يمكننا ان نكمل هذه المشادة الكلامية في غرفتك؟».

اتجهت كيم نحو المصعد. وبعد دقيقتين تواجها داخل غرفة نومها حيث قال روك:

«في ما يتعلق بهذه الحقيبة الملعونة، اؤكد لك اني لم اعرف ماذا كنت تفعلين. ولو عرفت، لحبستك واقفلت عليك الباب يا عزيزتي».

شحب لون كيم، وخفق قلبها بعنف نتيجة انفعالاتها:

«ألست شديد التفاؤل! اوتعتقد حقاً انك تستطيع سجني، ولا اجد مخرجاً؟».

استدار بعصبية وقذف بمعطفه الواقي من المطر على سريرها. ثم سألها ببرودة:

«هل ترغبين بمعرفة الدافع لقرار بارت دخول المستشفى؟».

«طبعاً».

توجهت كيم نحو النافذة حتى لا يرى روك الدموع التي ظهرت في عينيها اذ لا ينبغي ان يعرف عمق الجرح الذي اصابها نتيجة علاقتهما. على انها تصورت ان لقاءهما في البهو، حيث انتظرته ساعة على الاقل، سيتسم بالود. وتعهدت لنفسها ان تتصرف معه بود، وان تصغي الى اي تفسير يعطيه لسلوكه المشين وخداعه اياها. الا انه دخل مسرعاً، والغضب يعلو وجهه ووصفها بالحمقاء الصغيرة. ولم يكن هناك بد من الرد عليه خصوصاً انها كانت هي الفريق المظلوم في كل العملية.

«ما الذي جعل بارت يقرر دخول المستشفى؟».

اعقبت كلمات كيم فترة من الصمت المطبق. ثم تكلم زوجها. فاصغت اليه، واضمحل شعورها بالظلم والاذى. ثم استدارت على مهل وهي تهز رأسها بذهول.

وبدون ان تدري تقدمت من زوجها خطوة او خطوتين قائلة:

«لا بد انك شككت في صحة اقوال الطبيب، فاتصلت باختصاصي

القلب الذي تعرفه في دربان. اذن، فأنت الذي رتبت كل ذلك منذ البداية؟».

اطرق روك وقد اسند ظهره الى الخزانة وادخل يديه في جيوب بزته. فيما علا وجهه المسمر الوجوم.

«قلت انك احضرت هذا الاختصاصي ليفحص بارت، ولكن، متى؟».

«في احد الأيام التي ارسلك فيها بارت الى تنغافيل لاحضار بعض الكتب والحاجيات الاخرى. وكان اختصاصي القلب هذا قد وصل بالطائرة في اليوم السابق واقام معي في مسكن لوساكا. وكما قلت، فان بارت هو الذي اصر على اخفاء كل الحقيقة عنك. وقد اظهر تشدداً بالغاً في رفضه تعريضك لاي شعور بالقلق عليه. فأخذت الطبيب الى مسكن كاتانيا حيث اخضع بارت لفحص دقيق قرر بنتيجته ان هناك مجالاً لاجراء العملية، علماً بان بارت من جهة ثانية قد يفارق الحياة وهو على طاولة العمليات. اما بقية القصة، فتعرفينها لانني رويتها لك».

قالت وكأنها تحدث نفسها:

«كان ذلك قبل زواجنا».

تطلع روك اليها مستفسراً، وقال:

«حدث ذلك قبل زواجنا بالتأكيد. ولكن، احب ان اعرف ما الفرق في ذلك».

تنهدت كيم، ودنت منه خطوة صغيرة اخرى قبل ان تقول وقد ابيضت شفتاها:

«اذن، كنت تعرف قبل زواجنا ان امام بارت فرصة للبقاء حياً؟».

اجاب بعبوس وتجهم:

«اجل. على اني آمل يا كيم الا اتعرض لمجموعة من كلماتك واسئلتك المبهمة».

كان يمكن ان تبتسم كيم لقوله الذي ذكرها بروك القديم وتهكمه ونظرته اللائمة اليها. الا انها لم تبتسم، بل قالت بهدوء:

«اسمع. لقد عرفت ان بارت طلب منك الزواج بي. . . .».

«انت تعرفين؟ كيف؟».

«لا تشغل بالك بالطريقة التي عرفت بها ذلك الآن. بل قل لي يا روك لماذا تزوجتني».

نظر روك الى كيم وقد ضاقت حدقتاه وظهر الارتباك فيهما هنيهة. وما لبثا ان اتسعتا تدريجياً حين بدأ روك يفهم بعض الأمر. وقال وهو يرفع يده بحركة آمرة تمنعها من مقاطعته:

«قلت الآن اني تزوجتك بناء على طلب بارت. الآن اصبح عندي مبرر للقول بان عقلك البسيط والمتخلف جعلك تقررين اني تزوجتك حتى ارضي بارت. . . .».

ثم توقف ليضحك ضحكاً عالياً اجبرها على ان تصم اذنيها بيديها. وقال:

«هكذا تتصورين اني رجل يتصرف بمثل هذه البلاهة؟».

هزت كيم رأسها، وانزلت يدها الى جنبها وهي تجيب:

«كلا. . يا روك. . . .».

وتقدمت خطوة اخرى باتجاهه، لكنه ظل واقفاً في مكانه بصلابة وصرامة وقالت:

«آه. أظن اني ارتكبت. . . ارتكبت خطأ. . . .».

بلعت كيم ريقها المتجمع في حلقها واضافت:

«شنيعاً».

شد روك ذراعيه الى جسده، ثم امرها:

«تعالي الى هنا».

ولما لم تتحرك، هددها بالقول:

«كيم، اني مستعد لضربك ضرباً يوجعك مدة اسبوع. فتعالي الى هنا».

اطاعت فوراً، وقد تغير لونها بسرعة. وقالت جواباً على استفسارها:

«اني آسفة».

«آسفة. هل تظنين ان كلمة واحدة صغيرة تكفي لازالة كل المعاناة التي فرضتها علي؟ صدقيني يا كيم اني سأجبر نفسي بعد عودتنا الى المنزل ان ازرع فيك بعض الاحساس. اما الآن، فقولي لي فوراً كيف عرفت ان

بارت طلب الي ان اتزوجك».

«واخيراً ادركت ان رافيلا ارادت ان اتنصت عليها».

هكذا انهت كيم كلامها وهي تتمنى لو تشيح بنظرها بعيداً عن وجه زوجها العابس. الا انها لم تجرؤ مخافة ان ينفذ تهديده. وقال ساخراً:

«انه لذكاء خارق اخيراً حقاً ان رافيلا ارادت ان تتنصتي عليها. وهل يمكنني ان اسأل لماذا لم تحضري الي وتستوضحي الأمر مني؟ اذكر اني طلبت منك اطلاعي على ما كنت تفكرين به ذات مرة. ولو انك فعلت، لجليت اموراً كثيرة».

«اجل... لقد فعلت. واتمنى لو... لو اني اكترثت لك...».

وتوقفت قبل ان تصيح صيحة احتجاج اذ هزها زوجها الذي لم يستطع السيطرة على اعصابه، هزاً عنيفاً فاصطكت اسنانها. ثم قال:

«اخبريني بقية القصة. اخبريني بكل شيء حتى نستطيع الرجوع الى البداية من جديد».

ارتعشت كيم وقد بللت الدموع اهدابها:

«ليس هنالك ما يذكر سوى اني كنت عازمة على هجرك فور... بارت».

هزها ثانية بحيث تذكرت قوله انها ستندم ان هي اغضبته. وقال متسائلاً:

«تهجرينني؟ تهجرينني، اليس كذلك؟ وبهذا تفضحينني امام اصدقائي. صدقيني اني كنت ساسترجعك بطريقة تمنعك من العودة الى هذه المجازفة».

فتحركت مبتعدة وقالت بعد استردادها شيئاً من النشاط:

«اذا تابعت تهديدك لي باستعمال العنف ضدي، فاني لن اعود الى... اليك».

«لن تعودي؟».

«لا... بل اقصد... الآن».

«هل ترغبين في الانفصال؟».

«الانفصال؟».

ولم يكمل الفريقان تفسيراتهما الا بعد وقت طويل وذلك اثناء تناولهما العشاء على ضوء الشموع في زاوية منعزلة من مطعم الفندق. فعلمت كيم انه على رغم طلب بارت من روك ان يتزوجها، فان الاخير اكد للأول انه واثق من ان كيم هي الفتاة التي خلقت له. وقال روك بابتسامة ندم ونظرة حنو قابلت نظرة كيم عبر الطاولة:

«اقر اني قاومت ميلي للزواج بك، لأن عزوبيتي كانت مريحة وخالية من التعقيدات فلم ارغب ان تقتحم اي امرأة حياتي. غير اني سرعان ما ادركت صعوبة تجاهل تأثيرك علي. وعلى رغم مقاومتي، فقد عرفت ان معركتي لا بد خاسرة».

والتمعت عينا روك مرحاً اذ علت وجه كيم الحمرة فيما قهقهت قائلة:

«كم انا سعيدة لانك خسرت المعركة يا روك».

«وانا كذلك يا حبيبتي.

فقط لو كان بارت بخير...».

«لاصبح العالم من حولي غاية في الكمال».

«ليس بوسعنا يا حبيبتي الا ان نعيش بالأمل. اما اذا اخفقت العملية، فسأكون انا زوجك بجانبك لاواسيك كما سأفعل دائماً في المصائب والصعوبات».

«اعرف ذلك يا روك. واني هنا لاواسيك انت ايضاً».

ولما فرغا من عشائهما، سارا قليلاً في حديقة الفندق قبل ان يصعدا الى الحجرة حيث رقدا هانئين.

مر اسبوع كامل قبل ان يتلقيا الخبر الذي طال انتظارهما له: بارت سيعيش.

ولما خرجت كيم من الجناح الخاص وهي تقفز للحاق بزوجها في ممر المستشفى، قالت:

«الا يبدو على ما يرام؟ هل تعلم يا روك اني لم اره في مثل هذا الشباب وهذه العافية على ما اظن؟ وهذا كله من فضلك. فكيف يمكنني ان اوفيك حقك من الشكر؟».

اجابها روك بحماسة وهو يرجع رأسه الى الوراء ويحدق بحنو الى وجه زوجته:

«لا تشكريني. فقط، اقيمي عل حبي الى الابد».

ثم خرجا من المستشفى النظيف المكيف الى حرارة الشمس الافريقية الساطعة، وهناك بلغ مسامع روك صوت زوجته الهادىء الخفيض وقد ملأته رنة الحب يقول:

«هذا ابسط ما يمكنني فعله طوال حياتي يا حبيبي، يا روك».